فيصل حسون

لمزيد من الكتب والأبحاث زوروا موقعنا فلسطين للكتب المصورة
https://palstinebooks.blogspot.com

خسرناها معركة ..

فلنربحها حرباً

وزارة الثقافة والإرشاد
مديرية الثقافة العامة

سلسلة الكتب الحديثة
١٨

خسرناها معركة .. فلنربحها حربًا

بقلم
فيصل حسون

دار الجمهورية – بغداد
١٩٦٧

الأهداء

حين كان العدو يصب نيرانه على وحدته ... تلفت من حوله ، فلم يجد بين الاحياء سوى نفسه ، وسوى اثنين من جنوده .

وامتدت يده الى التلفون العسكري الموضوع في موقعه الأمامي ، ليبلغ غرفة العمليات في القيادة ، ما آل اليه مصير تلك الوحدة الباسلة .

ولم يقل للقائد الذي كان يجلس في غرفة العمليات على الطرف الآخر من الخط : ماذا تريدني أن أصنع الآن وقد استشهد أغلب أفراد وضباط وحدتي ... بل ان الذي قاله كان شيئا أكثر من بطولة البشر .

لقد اهتزت أسلاك التلفون بعبارة خالدة ستظل ترفع رؤوسنا عالية أبد الدهر ... وستظل بنورها تبـــدد ظلام النكبة التي عشناها عشرين عـاما .

قال الرجل للقائد بلهجة المؤمن المطمئن :

ـ يا سيدي ... استودعك الله ، وأرجو أن يكون لنا لقاء آخر .. في الجنة .

واندفع يؤدي واجبه ... حتى خر في ساحة الشرف شهيدا .

فالى روحه في عليائها

والى أرواح كل الشهداء الابرار

والى الجيل الذي نريد له حياة العز والمجد ولا نتمنى أن يعيش العذاب الذي عاشه جيلنا .

اقدم هذه الصفحات .

فيصل حسون

تمهيد

لست في هذا الكتاب واضعا بين يدي القارىء العربي دراسة عن النكسة التي نجمت عن العدوان الثلاثي الثاني • ولكني أحاول كمواطن عربي الاسهام ببعض ما أرى أن تناقش به الاحداث ، وتستلهم العبرة ونخرج من المحنة رافعي الرؤوس مرة أخرى •

اننا نؤمن باننا نخوض حربا مريرة وطويلة الامد مع اسرائيل ،بل قبل ذلك مع القوى الاستعمارية التي زرعتها في قلب وطننا العربي ، لتحول دون وحدة أجزائه ، ولتكون أسفينا يمنع هذه الامة من أن تعيد بناء دولتها الواحدة التي لا بد أن ترتفع أعلامها من الخليج حتى المحيط ••• هذه القوى التي تتصدرها بريطانيا صاحبة تصريح بلفور وما تلاه ، والولايات المتحدة راعية اسرائيل وحاميتها والمستعمرة الكبرى لنفوذ اليهودية العالمية •

ومن حسن الحظ أن الجماهير العربية على امتداد الوطن الكبير قد أدركت منذ اللحظات الاولى للعدوان الثلاثي الثاني انها اذ تخسر المعركة، فهي لا يمكن أن تخسر الحرب ، وليست محتويات هذا الكتاب الا توكيدا للمعنى الكبير الذي ينطوي عليه ايمان الشعب العربي بأن المعارك التي خسرها ضد الاستعمار الغربي وربيبته اسرائيل انما تمثل الزيت الذي يصب على النار فلا يزيدها الا اشتعالا •

انا خسرنا المعركة ... ولكن لا بد أن نربح الحرب .

ونحن قادرون على المضي في النضال ، وقادرون على أن نصل في النهاية الى ما نريد .

ولكن ليس بالتمني ... أو بالاتكال على بديهيات المنطق ، نستطيع أن نحقق أهدافنا .

ان الطريق أمامنا شاقة وطويلة وهي مليئة بالاشواك والعقبات .

وليس عدونا اسرائيل وحدها . ان العدو الحقيقي هو الاستعمار الانكلو أميركي الذي يتخذ من اسرائيل مخلب قط ، يدفع به لتحقيق أغراضه ساعة يشاء .

فاذا ما أردنا أن نقضي على قاعدة العدوان ، فلابد من أن نتخلص والى الابد من أطماع المعتدين واحتكاراتهم ، ونصفي في بلادنا أوكارهم وجيوبهم ، سياسية كانت أم اقتصادية أم عسكرية .

وهذا كله يتطلب منا أن نكون في مستوى الصراع .

ان علينا أن نعمل بجد ، وأن نضحي وأن نبدأ من الآن ، ولا نحسب للزمن حسابا ، بل نصر على أن يكون شعارنا دائما :

« لقد خسرناها معركة ...

فلنربحها حربا »

وسننتصر حتما ، لان النصر هو جزاء الصابرين المكافحين .

بغداد في ١١ حزيران ١٩٦٧

لماذا وقع العدوان ؟

حين نسأل أنفسنا هذا السؤال ، يتدافع على ألسنتنا سؤال ملح آخر، هو : ـ

ـ هل كان بالمستطاع تفادي العدوان ؟

ان اسرائيل قد اصطنعت اصطناعا فى الرقعة التي احتلتها من فلسطين ، وفرضها الاستعمار الغربي علينا ، في مؤامرة طويلة المدى ، بدأت رسميا في ٢ تشرين الثاني من عام ١٩١٧ بصدور تصريح وزير خارجية بريطانيا اللورد بلفور ، لتنتهي سياسيا في ٢٩ تشرين الثاني من عام ١٩٤٧ قرارا بالتقسيم يصدر عن الجمعية العمومية للامم المتحدة ، وتلتقي فيه أصوات الغرب والشرق ، ولا يملك من أغلبية الثلثين سوى صوت واحد ... هذه المؤامرة كانت تحسب في البداية انها تستطيع أن تزرع اسرائيل في الوطن العربي ، ثم تحمل ابناء هذا الوطن على قبول هذه الشجرة المسمومة في أرضهم ، والرضى ـ بمرور الوقت ـ بتغذيتها والتغذي بثمارها !

ولكن الاحداث تطورت على غير ما رسم لها المستعمرون ...

لقد كان قيام اسرائيل لعنة دفع ثمنها الحكام الذين أخنوا رؤوسهم للاستعمار ، وارتضوا أن تغتصب فلسطين ، وهم لاهون عنها بعروشهم واماراتهم ورئاساتهم . ولم يسلم حاكم عربي واحد من أن يصاب باللعنة، خلعا أو قتلا أو اقصاء .

ثم هبت رياح الثورة على الوطن العربي ، وليس سرا أن وجود اسرائيل ذاته كان المحرك الاول للثورات التى اشتعلت بها الارض العربية حقدا على الاوضاع التي أتاحت للاستعمار أن يغتصب فلسطين ويمنحها لليهود .

وعندما بدأت الثورة تتحدى النفوذ الغربي التقليدي ، فتنفتح على العالم وتكسر احتكار السلاح وتبدأ عملية البناء ... جن جنون الاستعمار، فراح يحاصر الثورة ويضيق عليها الخناق ، حتى تطورت الاحداث على نحو أدى الى تأميم قناة السويس ثم وقوع العدوان الثلاثي الاول في ٢٩ تشرين الاول سنة ١٩٥٦ ، وقد بدأته اسرائيل ثم باشرته فعلا بريطانيا وفرنسا بانزال قواتهما في بورسعيد وبور فؤاد بدعوى الحرص على استمرار الملاحة في قناة السويس ، ولم يصمد العدوان لروح المقاومة الباسلة التي أظهرها شعب مصر العربي ، ولا للسخط العالمي الذي تجلى في هياج شعوب الدنيا كلها استنكارا للعدوان . وبذلك تراجع المعتدون وارتدوا خاسئين ، وخرجت الامة العربية من تلك المعركة منتصرة رافعة أعلامها ... ثم قبل أن تمضي خمسة عشر شهرا على العدوان ، أقدم الشعب العربي في مصر وسوريا على خطوة تاريخية جبارة كانت التحدي الاعظم لكل مخططات الاستعمار ، عندما حقق الوحدة لاول مرة في التاريخ الحديث ، وعندما ولدت الجمهورية العربية المتحدة ، أملا للعرب وقاعدة لبناء دولتهم المرتجاة ... دولة الوحدة التي أغمض الشهداء عبر الاجيال عيونهم وهم يضحون بدمائهم وأرواحهم على أمل أن تتحقق . ولكن قيام الوحدة حمل الى الوطن العربي رياح صراع جديد بين القوى الثورية والتقدمية ، وبين الاستعمار وعملائه في المنطقة ... وجاءت ثورة ١٤ تموز التي استهدفت نسف ميثاق بغداد والقضاء على النفوذ البريطاني في العراق لتؤلف حلقة جديدة في سلسلة الانتصارات العربية التي كان مؤملا أن تزيد من متانة البناء الوحدوي المتمثل في كيان الجمهورية العربية المتحدة . الا أن تأخر ثورة ١٤ تموز في بلوغ هدفها الوحدوي ثم

انزلاقها في الانحراف عن الخط العربي ، انحرافا أدى الى أن يقوم في العراق حكم يحمل سمات العهد البائد تنكرا للتيار العربي جهارا ، بينما كان ذلك العهد لا يجرؤ على هذا التنكر الصريح •

وما زلت أذكر حتى الآن تلك اللحظات التي اعقبت انبثاق ثورة ١٤ تموز ، وارتعاش صوت مذيع راديو اسرائيل وهو يتمنى أن يكون حقا ، ما أذاعته احدى وكالات الانباء من أن الامير عبدالاله ما زال يقاوم الثورة في قصره ، وأن هناك جيشا يزحف لانقاذه على بغداد من كركوك !

بل ما زال الناس يذكرون ولن ينسوا كيف بادر الانكليز الى القيام بانزال قواتهم في الاردن ، في حين بادر رماة البحرية الاميركية الى القفز من الاسطول السادس مسرعين لاحتلال شواطىء لبنان !

لقد كانت ثورة ١٤ تموز ايذانا بان خريطة الشرق الاوسط لابد أن تتبدل ••• بعد أن ينضم العراق الى وحدة مصر وسوريا !

الا أن هذا الحلم لم يتحقق •••

ومع ذلك فقد ظلت خطوط الهدنة ساكنة هادئة ••• لا تستطيع اسرائيل ان تخرقها أو تقترب منها ، لان قوات الجيش العربي الاول ترابط على حدود فلسطين المحتلة من الشمال بينما ترابط قوات الجيش العربي الثاني من الجنوب •

وفي فجر كالح من أيام العرب السوداء التي عاشها تاريخهم الحديث ••• شن الاستعمار بأيدى عملائه هجوما على الوحدة ، فاذا باقليمي سوريا ومصر ينفصلان في انقلاب وقع في ٢٨ ايلول من عام ١٩٦١ •

وأريد للجمهورية العربية المتحدة أن تتحطم أملا وقاعدة ورايه •

ولكن قيادة الرجل الذي رد لمصر وجهها العربي ، ووضع ثلاثين مليون مصري في مكانهم الطبيعي من موكب القومية العربية ، استطاعت أن تعبر الكارثة ، وتتحدى الذين دبروها •

ثم انطلقت الثورة في مسيرتها من نصر الى نصر •••

وقبل أن يمضى عام واحد على الانفصال المشؤوم ، اندلعت في أقصى جنوب الجزيرة العربية ثورة لاهبة ، كسرت من حول اليمن طوقا ضربته الرجعية وكل قوى الضلالة منذ قرون وقرون ...

وجوبهت الجمهورية العربية المتحدة ، بالامتحان .. وما كان بوسعها أن تنحني للتحدي بل واجهته راضية ، ومضت بقواتها وبكل ماتملك من رصيد لخوض أعنف وأشرف معركة ، ذات طبيعة مجهولة الابعاد محفوفة بالمخاطر ...

وظن الاستعمار أنه جر القاهرة الى الشرك الذي لن تخرج منه هذه المرة الا وهي مثخنة بالجراح .

وطوال نيف وأربعة أعوام دفعت الجمهورية العربية المتحدة من أموالها ودماء أبنائها ما عمدت به الثورة فاذا هي في وجود الشعب العربي في اليمن تجري مجرى الدم في العروق ومع أن التطورات السياسية التي عاشتها ثورة ٢٦ أيلول من عام ١٩٦٢ تعرضت للمد والجزر ومرت بمراحل التجربة والخطأ ، فانها استقرت في النهاية عند عملية البناء الذي ينبغي أن تنصرف اليه ، مع حملها السلاح باليد الاخرى لتدافع عن وجودها ، وكان دور الجيش العربي في كل ذلك دور الحارس الامين لامل الشعب العربي في كل أرجاء وطنه الكبير بان تظل ثورة اليمن ماضية في طريقها وأن لا تجهض كما أجهضت ثورات سابقة من قبل .

وفي غضون انشغال الجمهورية العربية المتحدة بمعركتي البناء الداخلي ـ سياسيا عن طريق اقامة وتدعيم الاتحاد الاشتراكي العربي، واقتصاديا عن طريق تحقيق الارتفاع بمستوى التصنيع حتى يسهم في تدعيم بناء مجتمع الكفاية والعدل ـ والعمل القومي ، سياسيا عن طريق بناء خطط الالتحام القومي ، وتمهيد السبيل أمام الثورة العربية لتمضي قدما في تحرير الانسان العربي ... كان الاستعمار الذي ضاق بهذه الثورة يوشك أن يضع اللمسات الاخيرة على مخططه الذي أعده للاطباق على القوى الثورية وكل مواقعها الفعالة .

وانكشفت المؤامرة الاستعمارية ، حين تبناها حزب العمال البريطاني بوضع سياسة المجابهة التي أسمتها صحف لندن بسياسة شرقي السويس.

ولم يتخل الاميركيون عن دورهم في هذه السياسة عن طريق تحريك اسرائيل أداتهم الطيعة والمدللة معا ...

وفي وقت واحد كانت المعركة تحتدم على امتداد الجزيرة العربية : في عدن ... في الجنوب اليمني المحتل ... على حدود اليمن ، وداخل أرضها أحيانا ، حتى بلغ الامر بالبعثة الاميركية الاقتصادية في تعز أن تستخدم مدافع البازوكا في ضرب المواطنين اليمنيين ..

وفي الخليج العربي، كان التحرك شاملا لتطويق العراق ،وضرب كل العناصر التي تتحدى الانكليز ، أو تقف بوجه ما يريدون ... وفي العراق كان أعوان الاستعمار يعملون على تقويض الثورة وتصفيتها بمحاولاتهم المفضوحة للتشكيك في جدواها وما عادت به على البلد من التمزق والضياع وتبديد الطاقات والامكانيات ، وفي سوريا كان التآمر يجري باستمرار للقضاء على الثورة التي ان عجزت عن أن تبلغ مرحلة اعادة الوحدة بين اقليمي الجمهورية العربية المتحدة ، فهي قد استطاعت أن تدرك أن طريقها هو طريق القاهرة ، وأن اللقاء بين عاصمة الامويين وبين قاهرة المعز هو وحده السبيل الى تحدي قوى الاستعمار والصمود بوجه مؤامراتهم .

وجاء ميثاق الدفاع المشترك بين الجمهورية العربية المتحدة وسوريا بتاريخ ٤ كانون الاول ١٩٦٦ عودة الى الوحدة العسكرية بين البلدين ، وايذانا بعودة الكماشة التي ستطبق على فلسطين المحتلة من الشمال والجنوب .

ومع أن هذه الخطوة ذاتها كان ينبغي أن تكون رادعا لاسرائيل لتكف عن سياسة التحدي فان العدو في السابع من نيسان ١٩٦٧ قام بهجوم جوي اخترقت فيه طائراته حرمة سماء دمشق ، وأسقطت خلاله أربعا من الطائرات السورية .

وبدأت أبواق الاستعمار تشهر بميثاق الدفاع المشترك بين دمشق والقاهرة ، وتقول باستهزاء أن الجمهورية العربية المتحدة لا تملك نجدة سوريا بسبب انشغالها بحرب اليمن .

وللاسف فان صحفا واذاعات عربية اشتركت في هذه الحملةالمسعورة التي كان هدفها واضحا وهو جر الجمهورية العربية المتحدة الى معركة تحد ، ودفعها الى خوض هذه المعركة ربما في غير الموعد الذى ينبغي لها أن تخوضها فيه .

ويذكر العرب أن الرئيس جمال عبدالناصر كان يكرر دائما أنه لا يسمح لاسرائيل بان تجره الى المعركة ، وانما سيحدد العرب بانفسهم موعد ومكان خوض معركتهم الفاصلة مع العدو .

ولكن الاحداث التى اعقبت السابع من نيسان تتابعت على نحوغريب.

ففي تصريح أفضى به ليفي أشكول قال رئيس وزراء اسرائيل ان الاسطول السادس الاميركي يعمل في البحر الابيض المتوسط حماية لاسرائيل[1] .

ولم يسمع أحد في العالم نفيا لهذا التصريح ، أو تعديلا لمضمونه . ثم مضى رئيس وزراء اسرائيل في تحدياته ... لسوريا !

واتخذت تحركات الفدائيين في داخل المنطقة المحتلة من فلسطين ، ذريعة لوقوف أشكول واعلانه بكل صلف ان جيش اسرائيل مستعد للزحف على دمشق !

وكان يوم ١٢ أيار ١٩٦٧ يوما فاصلا من أيام التحديات الاسرائيلية، اذ بدأ الحشد العسكرى يتجمع بألويته المتنوعة الاسلحة على حدود سوريا .

ولم تستطع القاهرة أن تقف مكتوفة اليدين ...

ففي الساعات التي كانت فيها اذاعات الوطن العربي ، تذكر سامعيها بما حدث قبل تسعة عشر عاما عندما زحفت جيوش سبع دول في

---

(١) عدد أيار من مجلة يو. اس. نيوز اند وورلد ريبورت الاميركية .

١٥ أيار من عام ١٩٤٨ لتحرير فلسطين ... كانت أجهزة البرقيات في دور الصحف تروي أخبار تحركات عسكرية في القاهرة قطعت لها حركة المرور في الشوارع ، لتتجه الى الشمال ، ربما الى الاسكندرية أو الاسماعيلية .

وصحا العالم في اليوم التالي على بيانات نشرتها القاهرة تقول ان «حالة الطوارىء قد أعلنت بين القوات المسلحة للجمهورية العربية المتحدة بعد أن توتر الموقف على خطوط الهدنة بين سوريا واسرائيل ، وبعد الحشود العسكرية الضخمة ، وبعد التهديدات والاصوات التي ارتفعت علنا في اسرائيل تطالب بالزحف على دمشق[١] »

ونقلت جريدة الاهرام عن أوثق المصادر في القاهرة « ان الجمهورية العربية المتحدة سوف تخوض المعركة ضد اسرائيل اذا تعرض الوطن السوري لاى عدوان يهدد أراضيه أو سلامته ، ذلك لا يحدث فقط تنفيذا لاتفاقية الدفاع المشترك بين مصر وسوريا التي تلتزم بها الجمهورية العربية المتحدة التزاما كاملا وانما هو موقف القاهرة الثابت والدائم اذا دخلت اسرائيل حربا ضد اية دولة عربية . »[٢] .

وكان طبيعيا أن تكون لهذا التطور في الموقف العسكري آثاره السياسية البعيدة المدى في أرجاء الدنيا ... وفي الوطن العربي على وجه الخصوص .

فماذا بعد الحشد العربي في سيناء ؟

لقد برهن هذا الحشد على أن الجمهورية العربية المتحدة ليست في موقف يمنعها من قيادة معركة التحدي للتهديدات الاسرائيلية ضد سوريا، بعد أن تم حشد القوات بسرعة متناهية ، مع أن اجهزة الدعاية الاستعمارية كانت تصور القاهرة بانها متورطة في حرب اليمن وأنها تعاني ظروفا اقتصادية خطيرة لا تسمح لها بخوض معركة مع عدو يرتبط ارتباطا وثيقا

---

(١) جريدة الاهرام عدد يوم ١٦ أيار (مايو) ١٩٦٧ .
(٢) المصدر السابق نفسه .

بالقوى الاستعمارية التي تؤكد دائما أن اسرائيل وجدت لتبقى ، دون أن تفكر ولو للحظات ، بأنها ينبغي أن تشد لجام هذه الاداة فلا تجعلها تتحرك على نحو يثير الاضطراب في الشرق الاوسط !

والتهبت المشاعر على امتداد الوطن العربي كله ...

ألمجرد نجدة سوريا تحركت القوات العربية ؟

أن عواطف العرب الثائرة ، وأمانيهم في التحرر ... كانت تقولها جهارا : لا ... فليس لمجرد ردع اسرائيل أو تخويفها أعددنا هذه الجيوش ، وانفقنا عليها من خبزنا وعرقنا . نريدها حربا ، وليكن بعدها ما يكون .

ومضت الاحداث سراعا :

١ ـ أوثانت السكرتير العام للامم المتحدة يعلن يوم ١٧ أيار أن القاهرة طلبت الى الجنرال الهندي اندرا جيت ريكهي قائد قوات الطوارىء الدولية سحب قواته من على طول الحدود ..

٢ ـ في اليوم التالي بعث محمود رياض وزير خارجية الجمهورية العربية بطلب رسمي الى أوثانت يقول فيه :

« تتشرف حكومة الجمهورية العربية المتحدة بافادتكم انها قررت انهاء وجود قوة الطوارىء الدولية في أراضي الجمهورية العربية المتحدة وفي قطاع غزة ، فرجاء التفضل باتخاذ الاجراءات اللازمة لترحيل هذه القوات باسرع وقت ممكن » .

٣ ـ من الطبيعي أن يستجيب أوثانت للطلب . اذ ان بقاء هذه القوات كان رهنا باستمرار موافقة الجمهورية العربية المتحدة ، وعندما جاء الطلب العربي بسحب القوات انتهى المبرر القانوني لوجودها ... وبذلك تم سحبها ، وباتت القوات العربية في مواجهة خط النار مع القوات الاسرائيلية على طول الحدود ابتداء من غزة ، ومرورا بسيناء بمحاذاة صحراء النقب ، حتى شرم الشيخ في مدخل خليج العقبة .

٤ ـ تحركت دول الاستعمار على الفور ، بارسال الاسلحةوالامدادات العسكرية الى اسرائيل على نحو لم تعرفه المنطقة من قبل (الطائرات والدبابات من أميركا وبريطانيا والكمامات الواقية بعد الدبابات والمصفحات من ألمانيا الغربية) .

٥ ـ لاول مرة بعد العدوان الثلاثي في ٢٩ تشرين الاول ١٩٥٦ يعود الموقف العسكري بين الجمهورية العربية المتحدة واسرائيل وجها لوجه دونما حاجز ... ودون أن تكون هنا لجنة مشتركة للهدنة ، بعد أن انتهى وجود هذه اللجنة اثر ذلك العدوان .

٦ ـ بعد عودة القوات العربية الى مواقعها في شرم الشيخ كان لزاما أن يعلن الرئيس جمال عبدالناصر مساء يوم ٢٢ أيار ١٩٦٧ غلق مضائق تيران بوجه الملاحة الاسرائيلية[١] .

٧ ـ في تحليل الموقف قال الرئيس عبدالناصر : في يوم ١٣ أيار (مايو) وصلتنا معلومات مؤكدة تفيد أن اسرائيل تحشد على حدود سوريا قوات مسلحة كبيرة يبلغ قوامها حوالي ١١ لواء الى ١٣ لواء وان هذه القوات وزعت على جبهتين : جبهة جنوب طبرية وجبهة شمالي طبرية وان القرار الاسرائيلي الذي اتخذ في هذا الوقت كان ينص على القيام بعمل عدائي ضد سوريا ابتداء من ١٧ أيار ، ولكننا في يوم ١٤ أيار أخذنا اجراءاتنا وبحثنا هذا الموضوع واتصلنا باخواننا السوريين[٢] .

٨ ـ أكد الرئيس عبدالناصر انه لم يكن هناك قبل يوم ١٣ أيار أي تفكير بحشد القوات العربية في سيناء[٣] .

٩ ـ في يوم ٢٦ أيار سلمت الى سفير الجمهورية العربية المتحدة في واشنطن رسالة من الرئيس الاميركي لندن جونسون « تطلب الينا ضبط النفس وألا نكون البادئين باطلاق النار والا فاننا سوف نواجه نتائج خطيرة

---

(١) خطاب الرئيس عبدالناصر في قاعدة جوية في منطقة سيناء مساء يوم ٢٢ ايار١٩٦٧.
(٢) المصدر نفسه .
(٣) المصدر نفسه .

••• وبنفس الليلة فان السفير السوفيتي طلب مقـــابلتي بصفة عاجلة في الساعة الثالثة والنصف من بعد منتصف الليـــل وأبلغني بطلب ملح من الحكومة السوفيتية ألا تكون البادئين في اطلاق النار[1] » •

١٠ ـ وبعد توقيع ميثـاق الدفاع المشترك بين الجمهورية العربيـــة المتحدة وبين الاردن في ٣١ أيار ١٩٦٧ وبين الجمهورية العربية المتحـدة والعراق والاردن في ٤ حزيران وقع العدوان بهجوم جوي غادر بدأتـه اسرائيل في تمام الساعة التاسعة من صباح ٥ حزيران ١٩٦٧ على جميـع مطارات الجمهورية العربية المتحدة ، مستعينة على كشفها بالخرائط التي التقطتها طائرات يو ٢ التجسسية التي تملكها الولايات المتحدة الاميركية ومستفيدة من وجود حاملات الطائرات الاميركية والبريطـانية في البحـر الابيض المتوسط والبحر الاحمر ، حيث هيأت مظلة جوية أتاحت لاسرائيل أن تدفع بكل سلاحها الجوي خارج أجوائهـا ، وباتجاه واحد في البداية هو اتجاه الجمهورية العربية المتحدة للقضاء على قوتها الجوية عن طريق ضرب طائراتها وتعطيل امكانيات مطاراتها •

ونعود الآن وبعد هذا العرض الخاطف للأحداث لنسأل :

ـ لماذا وقع العدوان ؟

لم يكن من أغراض الجمهورية العربية المتحدة أن تخوض الحرب مع اسرائيل وتصفيها في الوقت الحاضر •••

ولم يكن في حساب القاهرة أن الموقف يدعو الآن الى القيام بالحرب الوقائية للقضاء على امكانيات اسرائيل في صنع القنبلة الذرية •

ولم يكن في تصور قادة الجمهورية العربيـــة المتحدة أن الظروف الدولية تسمح بالالتحام المسلح بين العرب واسرائيل •

ـ لماذا وقع العدوان اذن ؟

هذا السؤال يجيب عنه الرئيس جمال عبدالناصر نفسه حين يقول :

---

(١) خطاب الرئيس جمال عبدالناصر مساء يوم ٩ حزيران ١٩٦٧

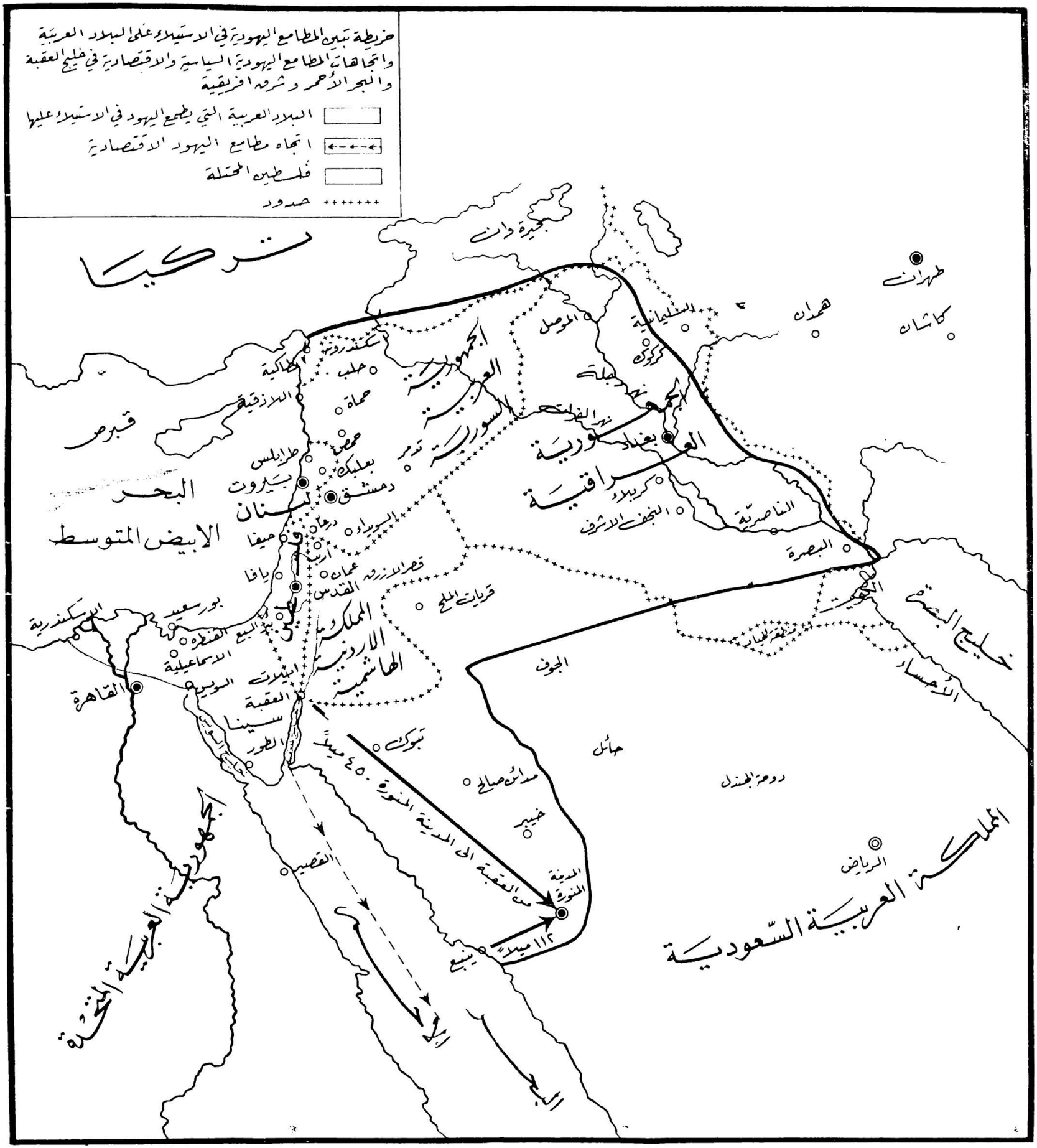

خريطة « اسرائيل من الفرات الى النيل » كما رسموها على باب الكنيست برلمانهم ، وكما وزعوها في نيويورك قبل العدوان بأيام ويبدو فيها كيف انهم لا يكتفون بفلسطين بل يتطلعون الى ضم العراق والاردن وسوريا والمدينة المنورة وجزء من الجمهورية العربية المتحدة .

« وفي صباح يوم الاثنين الماضـــى الخامس من حزيران – يونيو – جاءت ضربة العدو • واذا كنا نقول الآن بأنها جاءت بأكثر مما توقعناه فلابد أن نقول في نفس الوقت وبصفة أكيدة انها جاءت بأكثر مما يملكه ، مما أوضح منذ اللحظة الاولى أن هناك قوى أخرى وراء العدو ، جاءت تصفي حساباتها مع حركة القومية العربية[1] » •

واذا كان حقا أن جمال عبدالنـاصر ليس هو كل حركة القوميـــة العربية ، الا أن الرجل كان رمز الثورة على التخلف السياسى والاقتصادي والفكري والاجتماعي في الوطن الكبير • ولقد أراد الاستعمار أن يتخلص منه في العدوان الثلاثي الاول عام ١٩٥٦ ، فما استطاع ، ثم إذا به يجرب حظه مرة اخرى في حزيران عام ١٩٦٧ في محاولة لضـــرب الجمهورية العربية المتحدة رمز التحدي للاستعمار وقاعـدة العمل القومي العربي في التطلع الى المستقبل الأفضـــل ••• مستقبل الوحدة والحرية والـكفاية والعدل •

ووقعت الضربة الخاطفة لتمتص كل قابليات القاهرة وامكانياتهـــا وطاقاتها المدخرة للصمود والقتال وحتى الردع •

وحين نجحت ضربة الغدر في تحقيق أول أهدافها ، لم يكن عسيرا عليها أن تلتفت الى الجبهات الاخرى لتصفي الحساب معها بقسوة وحقد ، واحدة اثر واحدة •

(١) خطاب الرئيس عبدالناصر مساء يوم ٩ حزيران ١٩٦٧

لماذا أُصبنا بالنكسة ؟

بعد أن حدثت النكسة ، ينبغي أن نبادر الى تقييم ظروفنا التي أدت اليها • فهل كان العرب ـ اذا ما حاولنا الابتعـــاد عن الانفعال والتـأثر بالعواطف ـ قادرين على تحقيق النصر ، بالنسبة لامكانياتهم الراهنةوللتحدي الاستعماري الذي يتخذ من اسرائيل رأس حربة لعدوانه ؟

جوابا عن هذا السؤال ، وفي ضوء الحقائق التي تكشفت بعد العدوان الثلاثي الثاني ، نستطيع أن نقول بغير تردد ان النصر لم يكن سهلا ميسورا، وان بلوغه لم يكن يتطلب نزهة تقوم بها بعض الجيوش العربية لتستريح بالتالى من وعثـــاء مسيرتها على شواطىء تل أبيب ••• تقضي شـطرا من الصيف فوق رمال بلاجاتها ومسابحها !

كان واضحا منذ البداية ، ومنـذ قامت اسرائيل ان وراءها اليهودية العالمية التي وجدت في الولايات المتحدة الاميركيـة مستعمرتها الكبرى • ومن النفوذ اليهودي المتسلط على واشنطن ، استطاعت اسرائيل أن تضع في جيبها المانيا الغربية وأن تستغل الاقتصاد الالماني وتحول فائضه الى خدمتها فتدفقت في البداية مليارات المارکات بضائع ومصانع وأموالا ••• ثم مدافع ودبابات وطيارات• وعندماافتضحت المؤامرة، ركب لودفيغ ايرهارد رأسه وأبى أن يعتذر عن الخطأ أو يعترف به ، بل مضى في الشوط حتى نهايته وسجل اعتراف حكومة بون باسرائيل ، وتبادل معها التمثيل الدبلوماسى الذي قابلته عشر دول عربية بقطع العلاقات السياسية مع المانيا الغربية •

أما الانكليز ، فقد كانوا في عدن والجنوب المحتل يعيشون الحالةالتي عاشها غي موليه رئيس وزراء فرنسا وبينو وزير خارجيته في خريف عام ١٩٥٦ حين تخيلا أنهما سيضربان ثورة الجزائر عندما يسهمان بالعدوان على القـــاهرة ••• وكان هارولد ولسون رئيس وزراء بريطانيا وجورج براون وزير خارجيته يتوقعـان أن يربحـا معركتهما في عدن والجنوب المحتل لا في أقصى الجزيرة العربية وانما في القاهرة !

وحتى قبل أن تقع أحداث قرية السموع والهجوم الجوي الاسرائيلي على دمشق وتهديدات اشكول بالزحف على سوريا ••• فان سياسة شرقي السويس ، كانت تنذر بأن هناك مؤامرة كبرى على القومية العربية وعـلى مدها الثوري الذي يهدد مصالح الاستعمار في المنطقة كلها ••

وبالحساب الدقيق للقوى التي كان مقدرا لها أن تخوض المعركـة ـ وبعيدا عن العواطف والانفعالات ـ نقول انه لم يكن هناك من مصدر تتطلع اليه الانظار سوى القاهرة •

ولكن لماذا القاهرة وحدها !؟

صحيح أن الثورة العربية تنطلق من هذا البلد المعطاء الكريم الكبير ••• انما ما كان يجوز أن تظل القاهرة وحدها في الميدان •

وقبل الآن بنحو أربعة أعوام ، قالها جمال عبدالناصر صريحة : ان على العرب أن يجتمعوا من أجل فلسطين •

وكانت مؤتمرات القمة ••• وقيل ان حصيلتها الاولى والكبرى هي القيادة العربية الموحدة • فأين تلك القيادة من المعركة ؟!

انها لم تكن الا مجموعة مكاتب في مبنى ضخم كبير في القاهرة ••• والا تقارير ســطرت على الورق ولم تتحول الى ميـــادين القتال ، خططا وزحوفا •

ليس اليوم مجال هذا الحديث ••• ولا سرد قصة القيادة التي بدأت أملا عريضا ثم تحولت مع الوقت الى سراب !

وما من شأننا أن نلقي مسؤولية ما جرى على هـذه الحكومة ـ من

الحكومات العربية الثلاث عشرة ـ أو تلك ...

وانما نحن أمام الواقع المرير .

فعندما تحركت اسرائيل ... وقد ثبت أن تحركها كان نتيجة تخطيط طويل المدى ، بعيد الآثار ... تحركت القاهرة ، ربما بعفوية رد التحدي ، كما ثبت فيما بعد وحتى تلك اللحظات كان الموقف العربي ، عجبا من العجب !

ففي الوقت الذي واجهت فيه الامة العربية أخطر ساعاتها المصيرية ، كانت دول تنتسب الى هذه الامة في شغل شاغل عن المعركة ، أما بمواجهة متاعبها الداخلية، أو بصراعها المكشوف وأحيانا المستتر مع دول شقيقة لها!!!

ولم يكن هذا كله بعيدا عن تخطيط العدو أو حسابات حلفائه الدقيقة !

واذا ما بادر الملك حسين الى التوجه للقاهرة ليفاجيء العالم كله بوقفة كريمة من وقفات التاريخ ، معلنا أن العرب في لحظات الخطر لا يكونون الا عربا ... فان تلك المبادرة ذاتها ، قوبلت في عواصم عربية ـ مخلصة للمعركة ـ بالتوجس والفتور !

وتعاقبت الأحداث ... وكان مؤملا أن يتم الحشد العربي الكامل مع الوقت على حدود المنطقة المحتلة من فلسطين .

وبادر وفد عراقي بالتوجه الى القاهرة ليوقع ميثاق دفاع مشترك يجمع العراق والاردن والجمهورية العربية المتحدة ... الا أن اسرائيل استطاعت بضربتها الغادرة المفاجئة صباح الاثنين الخامس من حزيران عام ١٩٦٧ أن تمنع هذا الوفد من أن يبارح القاهرة الى عمان لتوقيع بروتوكول الاتفاق مع الملك حسين .

ورغم ان الجيش العراقي لم ينتظر الانضمام الى اتفاقيات عسكرية حتى يتحرك[1] ، وانما أسهم بوحدات منه على الجبهات الثلاث ، فان الوقت لم يكن كافيا ليتم هذا الجيش الباسل حشده المرتقب على النحو الكامل .

(١) كلمة الرئيس جمال عبدالناصر عند توقيع الميثاق الثلاثي يوم ٤ حزيران ١٩٦٧

ولم تمكن الظروف ذاتها جيوش الجزائر والمغرب وتونس والسودان أن توصل وحداتها الى ساحة المعركة في الوقت المناسب •

وكانت اسرائيل ـ أو من هم وراءها على الاصح ـ بالمرصاد للتجمع العربي ، فقطعوا عليـــه الطريق قبل أن يكتمل ، وضربوا ضربتهم التي حسمت المعركة العسكرية بأقل من أربعة أيام •

وحتى لو استطاعت حلقة التصافي والمهادنة العربية أن تتم عشية الضربة الغادرة ، فان ذلك ما كان ليبدل من الموقف شيئا ••

ان النزاعات العربية على شتى المستويات ، وفي مختلف الظروف ، أسهمت في تشجيع اعدائنا على أن يلعبوا بالنار كما فعلوا اعتمادا منهم على أن تفرق كلمة العرب هو السبيل لضربهم وكسر شوكتهم •

ومع أن كل عربي كان يهتز وهو يستمع الى البرقية التي بعث بها الملك فيصل آل سعود الى الرئيس عبدالناصر بعد بدء العدوان بأقل مـن ساعة ، الا أن كثيرين رددوا ـ بألم يمزق الاحشاء ـ أن كلمة العرب قد اجتمعت ••• ولكن بعدفوات الاوان •

ولو أن القيادة العربية الموحدة ، التي انبثقت بعد انعقاد مؤتمر القمة العربي الاول في ١٣ كـانون الثـاني ١٩٦٤ ، قـد اسـتمرت في عملها ، واستطاعت ان تستعد لما حدث في ٥ حزيران ١٩٦٧ ••• لـكانت النتائج ـ ولو على الصعيد السياسي أو على صعيد تطور الاحداث ـ غير النتائـج التي انتهت اليها المعركة يوم ١٠ حزيران ، حين أتمت اسرائيل احتلالهـا لـكل فلسطين ، ووضعت يدها على شبه جزيرة سيناء ، ووقفت قواتها فوق الهضبة السورية التي ظلت تهدد سهل الحولة وبحيرة طبريا ومستعمرات اليهود تسعة عشر عاما كاملة !

ان الاجماع العربي ، لو كان قائما قبل الخامس من حزيران ، لمـا جرؤت دول العدوان الثلاثي الجديد على اقتراف جريمتها على نحو مـا قامت به ، ولما استطاعت ان تحقق الاغراض التي حققتها من عدوانها ••

وهكذا فان كل عمل يباشره العرب لرد الضربة ومحو عار النكسة

واسترداد الوطن السليب والتصدي بقدرة وفاعليـة لمؤامـرات ومخططات الاستعمار ، انما يظل معرضا للانهيار ، ما لم تدعمه وحدة جهد عربي في مختلف المجالات السياسية والعسكرية والاقتصادية •

وليس من قبيل الحدس أن نقول ان واشنطن ولندن اللتين كانتا دائما تسعيان لحمل العرب على قبول اسرائيل كيانا ثابتا في المنطقة ، قدرتـا ان الخلافات العربية قد بلغت مرحلة تستطيعان معها أن تحققا حلمهما القديم بفرض التسوية النهائية ـ أو هكذا سموها سابقا ولاحقا ـ التى تقـول بوجوب الاعتراف بأن اسرائيل وجدت لتبقى ••• وذلك قبـل أن تنتهي الخلافات بين العرب •

ومن المحزن حقا أن ما كان يجرى في الجنوب المحتل وعلى حـدود اليمن ، وبين سوريا والاردن ، كان يمثل أقصى ما يتمنى الاستعمار الذى ضاق ذرعا بالثورة العربية وانطلاقاتها ، فأجمع أمره على ضربها في محاولته الثانية المسلحة للاجهاز عليها ، بعد ان قدرت حساباته ان القاهرة نعيش عزلة عن القوى الفعالة فى الوطن الكبير •

وحتى الاعلان عن عزم الدول العربية المنتجة للبترول على استخدام هذا السلاح الخطير فى المعركة ، جاء متأخرا عن موعده كثيرا • فلم ينعقد مؤتمر وزراء البترول العرب في بغداد الا عشية العدوان الغادر ، ولم تصدر قراراته الا بعد وقوع العدوان ••• وقطعا فان الاميركيين والانكليز كانوا يقدرون ان الاجماع العربي على جعل البترول سلاحا من أسلحة المعركة لن ينعقد هذه المرة ، كما لم ينعقد في مرات سابقة !

لسنا نريد للقارىء العربي أن يتوهم من هذا العرض ، بان العرب خسروا المعركة لانهم لم يستعدوا لها ، بل لا بد أن نؤكد ـ ونحن نحاول طرح القضية باخلاص ووضوح ـ أن كل استعداداتنا لم تبلغ مستـوى خطورة ما أعده أعداؤنا ، فقد كانت المؤامرة الكبيرة المرسومة قادرة على أن بلغ بالعملية غايتها ، قبل أن نستطيع حتى زج كل قوانا في المعركة ، أو تنبه الى مكامن الخطر فنتفادى قسوة المفاجأة والغدر •

والذين استيقظوا قبل طلوع فجر الخامس من حزيران بساعة من سكان واشنطن ونيويورك ، ليسمعوا أن اسرائيل ضربت المعتدين العرب الذين حاولوا خنقها وغلق مضائق تيران بوجه ملاحتها ... أدركوا ـ من حماسة معلقي الاذاعة والتلفزيون والصحف وتهجمهم على العرب الغلاظ الاكباد ـ أن المؤامرة أبعد كثيرا من صدام بين القاهرة وتل أبيب ... وأن أهدافها أوسع من توفير حرية الملاحة عبر الممرات الدولية لاسرائيل.

انها المعركة التى خططت لها الولايات المتحدة الاميركية وأسهمت فيها بريطانيا واسرائيل والمانيا الغربية ، لضرب الثورة العربية وامتصاص فاعليه تحركها ...

وحتى عندما طرح الامر على مجلس الامن الدولي ، كان المندوب الاميركي غير متحمس لوقف اطلاق النار ، قبل أن يتم تنفيذ المخطط الذى يحطم أكبر حشد من القوة العربية ، وينتزع أكثر مساحة من الارض العربية .

ووضح للعيان ـ حتى قبل أن تبرز الادلة أو تفتضح ـ أن العدوان كان مبيتا ، وأن هدفه كان القضاء على الامكانيات التي يملكها العرب للتحرر ولبناء وطنهم وحياتهم على قواعد السيادة والكرامة ورفض النفوذ الاستعماري بجميع أشكاله ومظاهره .

العرب والعدوان

عندما أعلن الرئيس جمال عبدالناصر « اننا لا يمكن بأي حال من الاحوال ان نسمح للعلم الاسرائيلي ان يمر بخليج العقبة ... واذا هددنا اليهود بالحرب فنحن نقول لهم أهلا وسهلا[1] » التهب الوطن العربي كله حماسة وفورانا عاطفيا • وبدأت تسمع في كل مكان عبارة واحدة لا غير :

ـ لقد حانت نهاية اسرائيل ... لا مجال لرجوع العرب عن هذه الجولة الاخيرة •

وبمثل ما كانت تلتهب به مشاعر الجماهير ... كانت كذلك مشاعر الحكام •

وعلى امتداد الوطن الكبير كانت النداءات تتعالى ان قد حان وقت الثأر ... وقت استرداد الكرامة ... وقت تحرير فلسطين •

ولم تكن أية كلمة تقال في محاولة تقييم الظروف وملابسات الموقف، وتحديد السياسة العربية في ضوئها ... لتقابل بغير التشكيك في قائلها ووصفه بالانهزامية على الاقل •

فقد كانت صيحة الحرب أعلى من أية صيحة أخرى • وكان الذين يتحدثون عن أمكانية الاكتفاء بما حققه رجوع القوات العربية الى شرم الشيخ ومحو آخر آثار العدوان الثلاثي لعام ١٩٥٦ ، يقابلون بنظرات السخرية في بعض الاحيان •

ان المنطقة العربية كلها كانت تقول أن هذه هي فرصة العودة الى

فلسطين ... دون التفات الى الاساطيل التي كانت تذرع البحر الابيض المتوسط أو تقبل من جنوبي البحر الاحمر او تستدعى من مالطا أو من جنوب شرقي آسيا !

وبالروح العاطفية انطلق العرب جماهير وقادة ، يلهبون مشاعرهم بدعوة الثأر ، وراحت الاذاعات والصحف تصور الامر ، وكأنه مجرد وقفة ساعات ثم تتحرر بالتالي فلسطين !

وعاشت الامة العربية حلما لن تنساه . بل عاشت هذا الحلم الذى تحول بالتالي الى كابوس ... لم تفق من ضربته حتى الآن وا أسفاه .

لقد كان تحرير فلسطين وسيظل الامل الذي تعيش عليه وبه الملايين العربية ... ولكن ما الذي فعلته هذه الملايين حقا وبجدية صارمة وسخية من أجل فلسطين ؟

وعلى مدى عشرين عاما من ضياع الوطن السليب .. هل انتفعنا بالدرس ؟ وهل خرجنا منه بالعبرة ؟ أم بقينا نتاجر بفلسطين ، ونضيع أيامنا وأعمارنا في التفاهات ، وعدونا يستعد ويتمكن من الارض التي اغتصبها عام ١٩٤٨ ؟

ومن المسؤول عن استرداد فلسطين ؟

أهو جمال عبدالناصر وحده ؟ أم هو كل عربي يشعر عن ايمان بأن وجود اسرائيل يعني فى نهاية الامر اما فناءه أو عيشه ذليلا تحت رحمة الاستعمار الذى أقام دولة العدوان في فلسطين لتكون ركيزة نفوذه في وطننا الكبير والى الابد ؟

وفي الوقت الذى كانت فيه كل الجماهير العربية تريد من الجمهورية العربية المتحدة أن تحمل العبء وتمضي في المعركة الى النهاية، دون أن يكون لهذه الجماهير دور ايجابي فيها غير دور العواطف والصراخ ، كانت اسرائيل تعمل ... وتعمل بسرعة لبدء تنفيذ المؤامرة .

ومن بين ما رواه بعض المصادر على لسان ليفي أشكول رئيس وزراء اسرائيل انه قال لابا ايبان وزير خارجيته قبل أن يتوجه الى باريس ولندن

وواشنطن « اسألهم ماذا يستطيعون تقديمه لنا بالضبط ؟ ماذا يستطيعون تقديمه لنا عمليا ؟ أي جهد يستطيعون القيام به بأنفسهم في المعركة. نحن لا نريد سلاحا فلن نجد الايدي التى تحمله لان كل ما نستطيع تجنيده الان من الرجال والنساء يحملون السلاح فعلا • قل لهم نحن نريدهم معنا في المعركة • نريد ضمانا باشتراك الاسطول السادس وخصوصا بطائراته • كما نريد دعما عسكريا من الاحتياطي الاميركي في المانيا الغربية[1] » •

وفي العالم الغربي كله بدأت اسرائيل حملتها لتجنيد الرأى العام وتسميمه ضد العرب •

واذا ما سلمنا بان من الطبيعي ان يقف الرأى العام في الولايات المتحدة الاميركية وبريطانيا ضدنا ••• فلماذا كل هذا العداء الذي أبرزته المظاهرات التي قادها اليهود وسارت فيها جماهير غفيرة في فرنسا تهتف بالموت للعرب ؟ ولماذا سارع جان بول سارتر وسيمون دوبوفوار وغيرهما من الكتاب الذين يزعمون أنهم من انصار الحرية ، الى توقيع البيانات بادانة العرب والتهجم على حقهم المشروع وسيادتهم الاقليمية فى خليج العقبة وحرمان الاعداء من استخدام مضايق تيران ؟

وفي تحليل الموقف العسكرى كانت الاحصائيات تتحدث عما حققته اسرائيل في ميدان التسلح والاستعداد للحرب • فقد اتمت عملية التعبئة العامة لجميع قواتها في غضون خمسة أيام وبعدها اصبحت كل موارد اسرائيل البشرية تحت السلاح حتى وصل تعداد الجنود الذين دعوا للعمل ربع مليون مجند يبلغ عدد المقاتلين منهم في البر ـ سواء في سلاح المشاة او سلاح المدرعات ١١٢ الف جندى[2] وقفوا على النحو الآتي :

ـ ١٨ لـواء (كل منها يضم ٤ الاف مجند) امام الجبهة المصرية •
ـ ٤ ألوية أمام الجبهة السورية •

---

(١) جريدة الانوار البيروتية عدد ٢٣٨٨ بتاريخ ٢٨ أيار ١٩٦٧ .
(٢) المصدر نفسه .

ـ ٦ ألوية في الاحتياطي العام للعمليات •

وأشارت معظم المصادر الصحفية الى ان اسرائيل تركز في تسلحها بصفة خاصة على الطيران • وتقول معلومات موثوقة ان السلاح الجوي الاسرائيلي مكون من ٣٥٠ طائرة موزعة على النحو الآتي :

١٥ طائرة من طراز « فوتور » الفرنسية •
٤٨ طائرة مقاتلة من طراز « سكاي هوك‌ج‌ـ١٠س‌ـ٤ » الاميركية•
٤٠ طائرة من طراز اوراغان الفرنسية •
٤٠ مقاتلة ميستير « سر ١ » الفرنسية
٧٢ طائرة ميراج ـ١١١س ـ١س الفرنسية
١٨ طائرة « سوبر ميستير » الفرنسية •
٦٠ طائرة من طراز ماجيستر •
٢٤ طائرة « نورد اطلس » للنقل •
٢٤ طائرة هليكوبتر •

وينبغي ان نذكر ولا ننسى دائما ان لندن وواشنطن ظلتا دائما تحاولان أن تضعا اسرائيل بما تمثل من عدوان على حق العرب ، وبما يثقل عبئها من كاهل الغرب لاعتمادها على مساعداته المالية ، وبقلة عدد نفوسها الذي لا يزيد عن المليونين الا قليلا ••• في كفة من الميزان تعدل أو ترجح احيانا ـ من حيث التسلح ـ الكفة التى تضعان فيها العرب بكل دولهم ، وبكل ملايينهم المائة وبكل مواردهم وحضارتهم وتاريخهم وحقهم ووطنهم الممتد من الخليج حتى المحيط •

ومع ذلك فقد حققت الجيوش العربية تفوقا ماديا فى حساب التسليح والقوى البشرية والاستعداد العسكرى ••• ولكن هل تهيأ لهذه الجيوش أن تؤدي دورها في المعركة ؟!

مرة أخرى ينبغي أن تتذكر ولا ننسى أن العرب خسروا معركة عام ١٩٤٨ سياسيا وليس عسكريا ••• وهم حين خسروا معركة عام ١٩٦٧

خسروها كذلك سياسيا وليس عسكريا •

اذ لو اتيحت للجيوش العربية القيادة الموحـــدة ، والحشد المنظم واستغلال الطاقات والموارد البشرية والفنية الى جانب ما اقتنت من ســلاح بمختلف صنوفه وموارده ••• وانطلقت المعركة لا فى جبهة سينـــاء أو الاردن أو سوريا وحدها ••• بل على امتداد الوطن الكبير ••• وخصوصا في الجانب الآسيوي منه ، لما حدث الذي حدث ، ولما استطاع العـــدو ـ اسرائيليا كان أم أميركيا أم انكليزيا ـ أن يمضي في تبجحاته ومزاعمـــه وادعاءاته ••• ولما استطاع أن يحقق الاهداف التي حققها بضربته الخاطفة السريعة •

وحتى فى اللحظات الاولى من العدوان ••• ماذا كان رد الفعـــل العربي المباشر ••• على امتداد الوطن الكبير ؟

ان مما يدمي القلب أن الجماهير التي كانت تتحرق انتظارا للحظـة المجابهة مع العدو ، فقدت توازنها ••• فلم تعد تدري ماذا ينبغي لها أن تفعل ••• ففي شوارع مدن كثيرة فى ارجاء الدنيا العربية كانت هنـــاك مظاهرات تطالب بالتسليح ••• وكان عمال يغادرون مصانعهم لينخرطـوا في مظاهرات الهتافات والشعارات ، ناسين أن كل دقيقة تضيع من مجهـود الانتاج تعني تفريطا بالمجهود الحربي ذاته •

أما الحكومات فقد تنادت في كل قطر الى اجتماعات لمجالس وزرائها لدراسة الموقف واتخاذ القرارات فى ضوئه ••• في حين ان الواجب كان يفرض عليها ان تستعد لمثل هذه اللحظة بالخطط الموضـوعة والقرارات المدروسة !

ولم يفعل المواطن العربي ـ في تلك اللحظات الدقيقة ـ أكثر مـن الالتصاق بالراديو يشد اعصابه الى اخباره والى ما يذيع من أناشيد ، وينقل مؤشره بين المحطات ، يتسقط في هذه ما لا يجده في تلك •••

وكان دأب الاذاعات العربية ويالأسف أن تثير الحماسة الجوفاء ، وأن تستمر في غوغائيتها ، لتوهم المواطن العربي بأن الجيوش العربية بدأت

نزهتها الموعودة في فلسطين المحتلة ولن يطلع صباح الغد حتى نركز علمنا الظافر فوق مباني تل أبيب !

ومن عجب أن الدفاع المدني لم يبدأ تجاربه في عواصم عربية كثيرة الا بعد أن لاحت نذر العدوان في أجواء تلك البلدان ...

وبدت أغلب حواضر العالم العربي مساء يوم ٥ حزيران مشعشعة بالانوار ، وكأنها في عرس ... تتعالى من انديتها ومقاهيها وشوارعها اصوات الراديو ، وهو يذيع أخبار النصر الموعود ... وربما غلبت الحماسة بعض السامعين فبدأوا التصفيق واحيانا الرقص ابتهاجا ... بينما كانت المؤامرة الاستعمارية الكبرى تكتسب المواقع في معركتها ضد الوجود العربي .

وكما حدث في عام ١٩٥٦ تماما ، فقد حدث في ساعات العدوان الثلاثي الجديد الاولى ... اذ اعلنت بريطانيا والولايات المتحدة الاميركية عن التزامهما الحياد ازاء الصراع بين العرب واليهود !

ولم يقل أحد ، ما أشبه الليلة بالبارحة ...

وانما خرجت صحف العالم العربي كله فى اليوم التالي تحمل بكل سطحية على صدر صفحاتها الاولى انباء الحياد الانكلو أميركي المزعوم !

كان طبيعيا ان يستبشر كل عربي بحياد الولايات المتحدة الاميركية وبريطانيا الذى يعني نهاية اسرائيل ... ولكن لم يخطر ببال أحد من العرب ان يسأل نفسه : أيمثل هذه السهولة تتخلى لندن وواشنطن عن اسرائيل ؟ وهل أن المقومات التى سبقت العدوان تبشر بمثل هذه النتائج ؟

ان ما تكشف حتى الان من أسرار العدوان يؤكد أن واشنطن قد قدمت لاسرائيل كل الضمانات بأنها ستتظاهر بالحياد اذ ما تهيأ للعدوان اليهودي أن يحقق أهدافه ، أما اذا انتكس ، فسيبادر الاسطول السادس لنجدة المعتدين ...

وهذه الحقيقة قد فضحها ليفي اشكول نفسه قبل العدوان عندما قال

أن وجود الاسطول السادس في البحر الابيض المتوسط انما هو ضمانة لامن اسرائيل[1] .

فكيف جازلنا بأن نصدق دعوى واشنطن ولندن انهما واقفتان على الحياد ؟

ان هذا مثل واحد من أمثلة التخبط السياسي الذي تعيشه جماهيرنا العربية في معركة حاسمة من معاركها المصيرية .

وحين نتطلع الى المستقبل ، ونعمل بجد على تجاوز آثار النكسة ، لنستأنف الكفاح حتى نبلغ النصر ، فأن علينا أن نحسن تلمس مواقع اقدامنا ، ولا ننخدع بسرعة ، ولا تأخذنا البهارج أو الادعاءات ، بل نعرف عدونا من صديقنا ونملك القدرة على الرؤية الصافية التي لا تضللنا أبدا .

---

(١) فى شهر ايار ١٩٦٧ نشرت صحيفة يو اس نيوز اند ورلد ريبورت حديثا مع ليفى اشكول دار على النحو الاتى :

س ـ اذا هوجمت اسرائيل بالقوة من جيرانها ، فهل تتوقع النجدة من الولايات المتحدة، وربما بريطانيا وفرنسا ؟

ج ـ بالتأكيد اننا نتوقع هذه النجد لاسيما اذا اخذت فى الاعتبار جميع الوعود المؤكدة الصادرة لاسرائيل ، وهى وعود حصلنا عليها عندما طلبنا السلاح من «الولايات المتحدة فقيل لنا : « لا تنفقوا اموالكم ... أننا هنا ... ان الاسطول السادس هناك » .

س ـ هل تشترى السلاح حاليا من الولايات المتحدة ؟ وما نوعه ؟

ج ـ أجل نشترى طائرات من طراز سكاى هوك .

هل كنا مستعدين ؟

يوم كنت أسمع لنداءات الداعين الى خوض الحرب مع اسرائيل ، كان يمر بخيالي شريط سريع من المشاهد التي رأيتها على أرض فلسطين في خريف عام ١٩٦٥ .

لقد ذهبت مع وفود مؤتمر المحامين العرب الذي انعقد في القدس آنذاك ـ الى الخطوط الامامية ... ورأيت قرية بيت صفافة التى قسموها بالاسلاك الشائكة وبيت لحم واللطرون ونابلس وقلقيلية وجنين .

ووقفنا فوق قلعة اللطرون لنرى بالعين المجردة مطار اللد ، ومن خلفه مباني تل ابيب فشاطيء البحر الابيض المتوسط .

وفي القدس نفسها رأيت مشاهد ارتعش لها وجداني دهشة واستغرابا ...

فعلى جانب الطريق المؤدية من القدس الى رام‌الله والتي لايفصلها عن القدس المحتلة الا بضعة أمتار ... كنت أرى القصور الفخمة تشاد والمباني العالية ترتفع ، وكأن المستقبل مضمون ، ولن يأتي الغد المثقل بالمفاجآت والاعاجيب !

ومع كل ما كنت اسمعه من تفسيرات يبلغ بعضها حد التشكيك بالحاكمين ... فانني لم أجد تفسيرا واحدا يقنعني بأن استمرار هذه الحركة العمرانية يمكن ان يعني شيئا آخر غير الاستسلام للكارثة ، وغير القبول بما تم بعد عام ١٩٤٨ !

وحين سألت من التقيت بهم آنذاك : والمستقبل ألا تخافونه ؟ ألا تفكرون بأن اسرائيل ـ اذا لم تتحركوا أنتم ـ ستتحرك ، وستضع يدها على ما تشيدون ؟!

لم ألق لسؤالي صدى !!!

وتذكرت أنني زرت عام ١٩٥٥ مدينة (وان) في أواسط الاناضول من تركيا ... وعندما وجدت المدينة ومنطقتها تعيشان تخلفا عجيبا يلفت النظر ... سألت عن السبب . فقيل لي :

ـ ان (وان) ومنطقتها ، تقعان على مبعدة ستمائة كيلومتر من حدود الاتحاد السوفيتي ، وان ستراتيجية الجيش التركي تقتضي ان تكون المناطق القريبة من الحدود ، من المناطق التي لا يبنى فيها الا ما توافق عليه قيادة الجيش ... ونخشى اذا ما نشبت الحرب ، أن يجيئنا الزحف السوفيتي فيخرب ما بنينا ... ولذلك تجد (وان) على هذا التخلف ، وستظل متخلفة الى ما شاء الله ، لان طبيعة موقعها الجغرافي تفرض علينا الا ننفق عليها فلسا واحدا !

فكيف اذن انفق العرب ملايين في المناطق المواجهة للعدو ؟ وكيف لم يستخدموا بعض هذه الملايين لاغراض الدفاع على الاقل ؟ وكيف شيدوا في القدس عشرات الفنادق الفخمة وهم يعرفون أنها ربما تقع بأيدى الاعداء في ضربة من ضربات الغدر ؟!

والاغرب من كل ذلك أنني سمعت بأن اتحاد المهندسين العرب قد اتخذ قرارا يقضي باعادة تخطيط مدينة القدس ، واعداد الخرائط والرسوم لتجميلها !!!

أبمثل هذه العقلية كنا نستعد لمواجهة احتمالات الغد ومفاجئاته ؟!

أكان الذين يفكرون هذا التفكير ، يدركون بأن الحرب التي اشتعلت بين العرب واليهود ومن هم وراء اليهود ومنذ نحو خمسين عاما ، لا يمكن أن تنتهي بهذا التعايش الزائف المفتعل الذي لا بد أن ينفجر بين لحظة وأخرى ؟!

وحتى مشروعات تحويل روافد الاردن ... أكان من المنطق أن نبذل كل الجهد والمال الذي بذلناه من اجلها ، ونحن نعرف سلفا أن العرب مدعوون الى أن يحاربوا ، فأما أن تعود فلسطين عربية ، وعندئذ لا جدوى من مشروعات التحويل ، واما أن يتغلب العدو ... ولا يعود بوسعنا أن نحمي من سطوته وغلبته هذه المشروعات !

أفلم يكن الواجب يفرض علينا اذن ، أن نفكر بواقعية أكثر ، ونتصرف بوعي أعمق ؟! ألم يكن الاستعداد لمواجهة العدو في الميدان أجدى علينا ، من أن نخوض ضده هذه المعارك الجانبية التي تستنفد جهدنا وتبدد طاقاتنا ، ولا تعود علينا بالتالي بما نريد أو ببعض ما نريد ؟

قد لا يكون الوقت مناسبا الان لنناقش بصراحة وانفتاح وشمول السياسات العربية المتضاربة التي تبنتها الدول العربية المختلفة في اطار فلسطين ... ولكن أليس من حق الجماهير العربية أن تعرف لماذا لم يتضح حتى الان ، ومنذ عشرين عاما الخط الرسمي الذي ينبغي أن يسير فيه كل العرب بلا خلاف ـ على الاقل ـ من أجل فلسطين ؟!

أو ليس عجيبا أن تمر كل هذه السنين فلا نجد بين أيدينا منهاجا واحدا يجمع عليه العرب ويقسمون على تنفيذه لانقاذ فلسطين ؟!

ولنسأل انفسنا اذن : أكان العرب جادين في كل ما يقولون بشأن تحرير فلسطين ؟!

ولو أنهم فعلا كانوا كذلك ... فهل أن أحدا منهم فكر بجدية كيف ستكون صورة فلسطين بعد تحريرها ؟!

ان الولايات المتحدة الاميركية وبريطانيا حين خلقتا اسرائيل وحين دعمتاها ، وحين ظلتا تكرران ان اسرائيل وجدت لتبقى تدركان جيدا ان زوال اسرائيل نتيجة لتحرير فلسطين يعني أن تغييرا شاملا سيطرأ على خارطة الوطن العربي والشرق الاوسط كله . وهذا التغيير ، ربما اسفر بل لا بد أن يحدث ذلك ـ عن قيام دولة الوحدة ـ بشكل أو بآخر من اشكال التوحيد او الارتباط ـ من المحيط الى الخليج ... ولن يكون على

أرض هذه الدولة موطيء قدم للنفوذ الاستعماري ، سياسيا كان أم عسكريا أم اقتصاديا •

ومن هنا فان اصرار الولايات المتحدة وبريطانيا على التمسك باسرائيل فاعدة الاستعمار والعدوان في الوطن العربي ، يتصل بالمصالح غير المشروعة للاميركيين والانكليز ••

فبماذا جابهنا هذا التخطيط ؟

بالعواطف ••• وما أكثرها !

وبالاناشيد ••• وما أرخصها !

وبالشعارات ••• وما أيسر أن نرصفها عبارات طنانة ، أو تهتف بها حناجرنا كلمات لها دوي الطبل ••• ولكنها لا تتجاوز دفتيه الجلديتين!

أن تحرير فلسطين ليس مجرد مسؤولية قومية تفرضها علينا وحدة الدم العربي ، ووحدة التراب العربي ، ووحدة المصير العربي •

بل أن زوال اسرائيل ضرورة لمستقبل اجيالنا ، ومستقبل السلام في هذه المنطقة من العالم • وعبث أن نبني أوطاننا ، ونحن نشعر أنها مهددة بالوجود الاسرائيلي ، بل لابد لنا أن نضع في حسابنا هذا الخطر عند كل خطوة نخطوها • ولا يجوز أن نهلل لاي انجاز نستطيع تحقيقه ، دون أن نتقدم مع هذا الانجاز ولو قليلا نحو هدفنا فى الخلاص من خطر وجود اسرائيل •

ان الملايين اليهودية التي يجري حشدها الان في فلسطين من مختلف الجنسيات والكفاءات والقابليات ، مع الدعم المادى والسياسي والعاطفي الذي تقدمه لها كل الدول الاستعمارية ـ وكثير من ابناء شعوبها مع الاسف ـ انما تستهدف توسيع رقعة رأس الجسر الذي احتلته في فلسطين ، تنفيذا لما رسمته الكنيست[1] على مدخلها من ان « أرضك يا اسرائيل من الفرات الى النيل » •

فماذا فعل العرب لمواجهة هذه المؤامرة الكبيرة ••؟

(١) مجلس النواب الاسرائيلي في القدس المحتلة •

لقد انشأوا القيادة العسكرية الموحدة التى لم تخرج من حيز النيات والمسميات !

واطلقوا التصريحات بمناسبة وبدون مناسبة ، ليتركوا للصهيونية مجال استغلالها في مجتمعات اميركا وأوربا البليدة ، تبرعات وهبات تتكدس فيها الملايين حماية لاسرائيل من تهديدات العرب الذين ينوون القاء يهودها في البحر !

وحتى في المجالات الاعلامية ، لم نستطع أن نشرح للرأي العام العالمي ، ماذا يعني وجود اسرائيل من انتهاك للقيم والمفاهيم والمبادىء الانسانية والاخلاقية والقانونية ...

ولا شك أن الصحفيين العالميين الذين استمعوا الى الرئيس جمال عبد الناصر في مؤتمره الصحفي الذى عقده مساء يوم ٢٨ ايار ١٩٦٧ فوجئوا به وهو يعلن « ان المشكلة التي نعيش فيها الان جميعا ونهتم بها ساسة وصحفيين وجماهير ليست مشكلة مضايق تيران وليست مشكلة سحب قوات الطوارىء ... هذه كلها عوارض طارئة لمشكلة أكبر وأخطر تلك هي مشكلة العدوان الذي وقع ولا يزال وقوعه مستمرا على وطن من أوطان شعوب الامة العربية في فلسطين ، وما يعنيه ذلك من تهديد قائم باستمرار ضد أوطاننا جميعا » .

أن العالم كله أوشك أن ينسى مشكلة فلسطين ، بل ان كثيرا من شعوبه ربما لم تسمع بمأساة شعبها ، ولم تسمع بما فعله اليهود وهم يقيمون اسرائيل على اشلاء وبقايا شعب فلسطين الذى تحول الى شعب من اللاجئين!

وعندما تحاول وفودنا أن تطرح قضية فلسطين ـ في مجالات دولية صديقة في بعض الاحيان ـ فهي تلقى اعراضا عن الانتصار لها ... لاننا أساسا لم نعرف كيف نجعل من هذه القضية ، حديث العالم ، ولم نستطع ان نشغل الشعوب بها ، كما استطاعت اليهودية العالمية أن تستدر عطف تلك الشعوب على ضحايا النازية التى مارسوها بأبشع مما مارسها الهتلريون ، حين استطاعوا ان يفعلوا ذلك في فلسطين .

ومع أن عشرين عاما قد مضى من عمر النكبة ... ومع اننا أصبنا بالنكسة الثانية قبل أن تنقضي العشرون حولا ، فما زال المجال متسعا أمامنا لتدارك ما فات ، ولبذل كل جهد في كسب الرأى العام العالمى الى جانب قضيتنا .

اننا نملك رصيدا طيبا لدى جميع الشعوب الاسلامية لم نحسن الاستفادة منه حتى الان . بل أقول بكل اسف اننا أهملنا هذا الرصيد لسبب أو لاخر وتركنا للحساسيات أن تلعب دورها ، فخسرنا الكثير دون أن نحقق مقابل ذلك أي مكسب .

ولنا في الدول النامية رصيد ... ولكن اسرائيل ـ بأموال أسيادها ـ تحاول أن تستحوذ على هذا الرصيد باغراءاتها وبشراء ذمم ذوى النفوذ في تلك الدول ... ومن واجبنا ان نفعل شيئا لنسد عليها الطريق ، فلا نسمح لها بان تجد لنفسها مواطيء اقدام واسواقا ، في اقطار يمكن أن تكون ـ بقليل من الجهد والصبر والبذل ـ في صفنا وفي أشد حالات الحرص على صداقتنا .

أما الدول الصديقة ... فليس لها من عذر اذا لم تفهم ان اسرائيل قاعدة استعمارية ، وان المعسكر الذى يتزعم محاربة الاستعمار ، لا يمكن أن يستثنى اسرائيل او يخدع بمزاعمها بأنها دولة تقدمية .

ان الدولة التى قامت على خرافات مفتعلة ، وولدت بالذهب الاميركي وبالسلاح الانكليزي وبالدعم اللامتناهي الالمانى الغربي لتحول دون وحدة العالم العربي ، لا يمكن أن تكون فى يوم ما ، دولة ديمقراطية منفتحة على الاراء التقدمية ليمكن التعايش معها . انها دولة قامت بالعدوان ، وفى اقل من احد عشر عاما لعبت دورها المرسوم للعدوان بدفع من دولتي العدوان الاستعماريتين : بريطانيا واميركا . فكيف يجوز التصور ان رأس جسر استعماريا كاسرائيل يمكن ذات يوم ان تغير من طبيعة تركيبها العدوانى فتغدو دولة مسالمة لاتمارس فيها الطبقية ولا التمييز العنصري ولا السياسة الاستعمارية ، وهى تمارس كل هذه الاساليب حتى مع اليهود الشرقيين

الذين استوردتهم لزيادة عدد سكانها ، تاهيك بابناء فلسطين الاصليين الذين كتب عليهم ان يعيشوا في ظل علمها وتحت سلطان حكمها ؟!

لقد آن لنا ونحن نواجه العدوان الثلاثي الثاني ، أن نبصر العالم بحقيقة اسرائيل ، وان نكشف طبيعة وجودها لكل الشعوب ..

ومع أن المهمة صعبة وشاقة ، بعد ان عبأت اليهودية العالمية كل اجهزة الاعلام الى جانبها ، الا اننا لن نعدم من يقف الى جانبنا اذ ما بذلنا صادق الجهد ، وطرحنا قضيتنا على الدنيا بحرارة وموضوعية وايمان ... وسنبدد غشاوة الضلال التي نشرتها اسرائيل طوال عشرات الاعوام ... لاننا على حق ... ولا بد للحق ان ينتصر ... طال المدى أو قصر .

كيف نعالج آثار النكسة ؟

لا بد لنا ونحن نعيش هذه اللحظات التاريخية من حياتنا وتاريخ أمتنا ان نؤمن ايمانا لا يتزعزع بأن النكسة التى اصبنا بها ، ليست سوى وضع طارىء لا يلبث أن ينقلب الى نقيضه اذا ما صممنا على ذلك ••• ونحن مصممون قطعا ، لان الرضى بما وقع والسكوت عليه ، يعني الانحناء للذل والاستسلام لمن يريدون ان يضعونا في مرتبة العبيد ، فلا نرتفع الى مستوى حضارتنا العريقة ولا نتصل بامجاد تاريخنا العظيم •

ولقد ظن المعتدون أنهم يستطيعون ان يفرضوا على العرب سياسة الامر الواقع مرة أخرى ، بعد ان قدروا ان الخلافات العربية ستكون المنفذ الذى منه يلجون الى فرض هذه السياسة •

ومهما كانت الظروف ، فأن رد الفعل المباشر للعدوان جاء مخيبا لامال المعتدين ، وقد قلب خططهم رأسا على عقب ••• فمن الرباط الى الكويت ومن عدن الى حلب ومن بغداد الى الخرطوم ، وقفت الامة العربية وقفة رجل واحد يتحدى العدوان ويعلن ان العرب لن يكونوا — فى كل الاحوال — الا عربا •

وحين كان اعداء هذه الامة يسمعون لبرقيتي الملك فيصل والرئيس الحبيب بورقيبه الى الرئيس جمال عبدالناصر تأييدا وتصافيا واسنادا ••• فلا شك انهم أيقنوا بان ورقة كبيرة حسبوها رابحة بايديهم قد ظهر زيفها وبطلانها •

واذا كان من فضل للمعتدين ـ اذا جاز التعبير ـ فانه فضل دفعهم لكل القادة العرب الى ان يكونوا فى مستوى المرحلة التاريخية سياسيا للخلافات بل دفنا لها فى مواجهة الواجب الاقدس وهو الدفاع عن الوجود العربي •

على أننا نرجو مخلصين ان لا تكون ثورة العواطف وغليان الدماء العربية في العروق ، هما وحدهما السبب فيما حدث من التحام عفوي حققته ظروف المعركة ، وانما أن يستمر هذا الالتحام ويتوطد ويرسخ على مرور الايام ايمانا بانه وحده السبيل لمعالجة آثار النكسة ، وتفادي مواجهة نكسة أخرى يدبرها المعتدون •

وأذكر هنا ـ على سبيل المثال ـ قصة تاريخية مضى من عمرها نيف وتسعة عشر عاما ••• لاخلص من مغزاها الى أن نكبة فلسطين في الاصل، كانت بعض نتائج الخلافات العربية ، وكل ما تلاها من مصائب انما كان ناجما عن تلك الخلافات •

ففي نيسان من عام ١٩٤٨ ، وعندما كان الوطن العربي كله يتحرق حماسة على زحف الجيوش العربية الى فلسطين ، لانقاذ شعبها من وحشية اليهود الذين دبروا مذبحة دير ياسين ومأساة القسطل وراحوا يستعجلون المكاسب قبل ان تعلن بريطانيا رسميا انسحابها من فلسطين في ١٥ أيار ١٩٤٨ وصل بغداد وفد يضم رئيسي وزراء لبنان وسوريا المرحومين رياض الصلح وجميل مردم ، قادمين من زيارة للرياض قابلا خلالها المرحوم الملك عبدالعزيز آل سعود •

وكنت مع لفيف من الصحفيين نقتحم غرفة نوم المرحوم رياض الصلح في القصر الابيض لنجده يجلس على سريره بملابسه الداخلية بعد ان خلع حتى البيجاما بسبب حر بغداد ••

وقلت للرجل : حدثنا بما جئتم من اجله الى بغداد •••

فقال على الفور وبلهجة خطابية : لقد انتهى دور الكلام وحان وقت العمل !

وبسخرية سألته : ألا تظن ان هذا الجواب أشبه بالاسطوانة المشروخة التى مر علينا زمن طويل ونحن نعزفها ؟!

وغضب رياض رحمه الله ، وشعرت بأن الدم قد تدفق كله الى وجهه، وان عينيه توشكان ان تومضا بالشرر ، ثم ارتفع صوته بحدة وبعصبية قائلا :

ـ ماذا تريدني ان أقول لك يا سيدي ؟ أتريدني أن أكشف لك المخازي التي نعيشها ؟؟ أتريدني أن اقول لك ان سبب عدم زحف الجيوش العربية على فلسطين حتى الان هو الصراع القديم بين الهاشميين الذين يحكمون بغداد وعمان ، وبين السعوديين الذين يحكمون مكة والرياض ؟؟ أتريدني أن أقول لك اننا تحملنا ما تحملنا لنقنع الرياض بأن لا مطامع هاشمية اذا ما زحفت جيوش الاردن والعراق انقاذا لفلسطين ؟

قلت وانا أفغر فمي دهشة وتعجبا : أهكذا يفكر الحكام العرب ويدفعون بخلافاتهم ... ولا يفكرون بضياع فلسطين نفسها ؟!

قال : نعم هكذا يفكرون !

قلت : وماذا نحن فاعلون اذن ؟

قال : لنتفاءل ، ولنستبشر خيرا ... فقد قبلت الرياض بأن يدخل الاردنيون والعراقيون فلسطين !!!

* * *

هذه الحادثة أرويها الان ... وقد عاشت في صدرى نيفا وتسعة عشر عاما .

وحين أرويها ، فانني ارجو ان تكون لنا منها عبرة في هذا الظرف الذى نعيشه ، وفي هذه المرحلة التى نمر بها .

لقد سمعت فى عام ١٩٣٩ أكرم زعيتر يلقي خطابا في تأبين المرحوم الملك غازي يناشد فيه العراق وقد كان آنذاك حامل راية القومية العربية وذخرها المأمول ان يزحف لانقاذ فلسطين ، وأن يضمها اليه مستشهدا بقول الشاعر :

أما حين دقت ساعة الزحف •• فقد كان بين العرب من يخشى أن تتوسع دولة عربية توسعا اقليميا اكثر مما يخشى ضياع فلسطين •

واليوم عندما تتنادى الى وحدة عمل عربي من اجل فلسطين ••• يجب أن نتذكر اننا انما نعمل لا من أجل فلسطين وحدها ، وانما من اجل المستقبل العربي في المنطقة كلها •

اننا جميعا أمام الامتحان العسير ••

ولا مفر لنا أن نؤديه ••• فاما ان نبرهن على اننا جديرون بالخروج منه مكللين بأكاليل الغار ، وأما أن تضرب علينا ـ لا على اليهود ـ الذلة والمسكنة ونبوء بغضب من الله عظيم •

لقد أصبنا بالنكسة ••• وهذا حق •

فكيف نعالج آثارها ؟

أنكتفي بما عالجنا به آثار نكسة ١٩٤٨ ••• وكأننا لم نعتبر بالماضي ؟!

أم أننا سنعود الى حياتنا نتفحص جوانب القوة والضعف فيها ، فنعمل على أن نكون في موقع لا تنفذ الينا منه المؤامرات ، ولا تفجعنا ضربات التحدي والغدر ؟

ان علينا أن نكون رجالا ، فنعترف بان ما أصابنا لم يكن كله من صنع اعدائنا •

لقد أسهمنا نحن العرب ••• كل العرب في صنع هذا الواقع المرير الذى نعيشه ، وشجعنا الآخرين على استغلاله والنفوذ الينا من ثغراته •

واذا ما أردنا أن نعالج جراحنا ••• فعلينا أن نعترف ، بان اساليبنا في الحياة ، وفي السلوك السياسي الداخلي والخارجي ، وفي تحصيل العلم وفي بناء الاقتصاد وتطوير المجتمع ، كلها كانت من اسباب النكبة ، لاننا لم نخطط لحياتنا وفق الاسس الحديثة ، ولاننا لم ننهج في ذلك النهج العلمي السليم •

ولا بد لنا حين نفكر بمعالجة آثار النكسة ان نعاود النظر وعلى وجه السرعة في الموقف العربي كله من هذه الجوانب :

١ ـ الجانب السياسي •

٢ ـ الجانب الدبلوماسي •

٣ ـ الجانب الاقتصادى

٤ ـ الجانب العسكرى •

وبلا اندفاع مع العواطف ، لا بد لنا من أن نرسى امسا للعمل فيهذه المجالات ، يتبناها كل العرب حكومات وافرادا ومنظمات •

ليس من حق أي عربي أن يرسم وحده خط سيره ، ويطلق لنفسه العنان في الصاق التهم بمن لا يسايره في هذا الخط •

ان دولا غربية كثيرة ، تسير في نهج واحد ـ رغم تباين مصالحها السياسية والاقتصادية ـ ولا تخرج من بينها حكومة لتقول للاخريات : لا ••• فأنا أرى غير هذا النهج !

وتتعاقب في بعض الدول حكومات تنتسب الى احزاب تتناقض فكريا وايديولوجيا ••• ولكن خط تلك الدول يظل واحدا لا يتغير مهما حدث من ظروف • وأقرب الامثلة الينا في ذلك موقف بريطانيا من ثورة اليمن • فحين كان حزب العمال في المعارضة ، راح ينعى على حكومة المحافظين تلكؤها في الاعتراف بالجمهورية اليمنية ••• ويقسم نوابه أغلظ الايمان ، بأنهم لن يترددوا في مساعدة ثورة اليمن ، يوم يصلون الى مقاعد الحكم لانها ثورة انسانية ••• وعندما جاء حزب العمال الى الحكم بعد ذلك بشهور ، كانت سياسته في مجابهة ثورة اليمن ألعن من سياسة حزب المحافظين !

وقد لا يكون هذا المثل السيء مناسبا في مثل الموقف الذي نحن فيه ••• ولكنه مع ذلك مثل ينبغي أن نعتبر به ، ونستوعب درسه ، وأن يصدر العرب في كل مواقفهم عن اتجاه واحد ، لا تعارض فيه حكومة ولا تخالفه قيادة •

نريد أن يكون هناك توحيد في :

١ ـ الخط السياسي •
٢ ـ الخط الدبلوماسي •
٣ ـ الخط الاقتصادي •
٤ ـ الخط العسكري •

وفي الخط السياسي نستطيع أن نكون واضحين في تعاملنا مع أنفسنا ، ومع العالم ، بلا تناقض ولا تردد ولا انتكاس • صحيح اننا ما زلنا من الدول التي لم تقطع شوطا بعيدا في ممارسة الحرية والاستقلال ، ولكننا بتجربة الاعوام العشرة الاخيرة ، برزنا في المحيط الدولي كأمة لها وزنها ولها من حرية الحركة ما تستطيع أن تتخذ معه مواقف متميزة بالاصالة العربية النابعة من تاريخ غني التراث حافل بأمجاد الحضارات •

أما في الخط الدبلوماسي فيمكن لنا ـ حتى بتعدد دولنا ـ أن نلعب دورا كبيرا وأساسيا في تعبئة الرأي العام العالمي وتجنيده للوقوف الى جانبنا ، فلا يحدث الذي حدث عندما سيطرت اليهودية العالمية بكل خبثها على شعوب كثيرة راحت تضللها بأكاذيبها وتهويشاتها وتجبي منها الاموال بأشعبية ونهم ••• رغم أن اسرائيل كانت هي أداة العدوان ، ورغم أنها شردت ـ في هذه المرة ـ زهاء مائتي ألف فلسطيني من ديارهم وقتلت عشرات الالوف من المدنيين غدرا وغيلة وجبنا •

وفي الخط الاقتصادي عندما نتبنى منهاجا منسقا لكل الوطن العربي ـ تعاونا وتكاملا ـ فاننا نملك قوة هائلة نطور بها أوضاعنا ونرتفع بمستوى عيشنا ، في الوقت الذي نقطع فيه على أعدائنا سبيل استغلالنا ونستعد للضغوط التي يوجهها الينا ، وللمعارك التي يجرنا اليها أو لابد أن نخوضها ضده •

ولا جدال في أن الخط العسكري من أخطر الخطوط التي ينبغي أن نوحد فيها الجهد ، تسليحا وتدريبا وتعاونا • فلو كانت هناك وحدة عسكرية

عربية ، ولو كان الجيش العربي الموحد منتشرا في أرجاء الوطن الكبير بقواعده ومطاراته وخطوط تموينه ... لما استطاع العدو أن يدبر لنا مؤامرة العدوان الثلاثي الجديد ، ولما استطاع كذلك أن يشل حركة الطيران العربي ، ويطمئن الى المظلة التي حققت حماية أجوائه .

لقد قالها عبدالناصر في لحظة حاسمة من لحظات التاريخ العربي ... انها ساعة للعمل وليست ساعة للحزن .

وينبغي أن تقولها الامة العربية كلها ... وترددها ليل نهار . فلا يجوز أن نخرج من المحنة ، بالانهيار النفسي ، لان العدو هو الذي يريد لنا ذلك .

ان الطائرات قد تقتل البشر وتحرق المباني وتدمر المطارات ...

وان الدبابات قد تقتحم الحصون وتحطم القلاع وتهزم الجيوش ...

وان الاساطيل قد تحاصر الموانيء وتضرب الشواطيء بصواريخها والبواخر بطوربيداتها ...

ولكن هذه الاسلحة كلها ... لا تكسب الحرب ، اذا لم يكن الى جانبها سلاح أفتك وأمضى ، هو سلاح الحرب النفسية .

وعندما يكون الشعب مؤمنا بربه ومؤمنا بأنه على حق ... فان خسران المعارك واحدة تلو الاخرى لا يمكن أن يزعزع ايمانه العميق بالنصر .

وحين نضع تاريخنا وحضارتنا في كفة ميزان ... ثم نضع تاريخ وحضارة من يسمون أنفسهم بالشعب الاميركي ، فماذا تكون النتيجة ؟!

ان الظواهر المادية لا تساوي ـ الى جانب الغنى الروحي ـ شيئا ...

ونحن نملك الاسلام ، ونملك المفاهيم الروحية ، ونملك القوة الخفية التي تدفع بالرجل أن يحمل دمه على راحة كفه ، ويمضي الى ميدان المعركة وهو يردد :

فأما حياة تسر الصديق واما ممات يغيظ العدا

ومع أننا لا ندعو الى اهمال التقدم العلمي والصناعي ، بل نصر على أن نواكبهما ونبرز فيهما ... الا أننا لابد الى جانب ذلك أن نعنى بقيمنا الروحية ومثلنا الانسانية المنبعثة من ديننا وحضارتنا التي بلورها هذا الدين وطبعها بطابعه التاريخي الفريد .

دور الشعب في الحرب

ما كانت الحرب التي يخوضها ضدنا الاستعماريون ، لتستهدف الا ابقاء شعبنا ، حيث هو ، تأخرا وتخلفا ... ليتاح لهم أن يستمروا في نهب خيراته ، والتسلط على مذخورات أرضه وما تنبت هذه الارض .

ولقد تزايد حقد الاحتكارات الاستعمارية على أمتنا كلما تفتحنا على أساليب التطور ، وبدأنا نضع أيدينا على مكامن القوة ونسد عليهم أبواب الاستغلال .

ان العدوان الثلاثي الاخير لم يكن الا حلقة من سلسلة المؤامرات والمخططات الاستعمارية التي استهدفت ضرب الثورة العربية التي قامت من أجل الانسان العربي ، ومن أجل تقدمه ووضعه في مكانه اللائق من موكب الحضارة والتطور الانساني .

وعندما يستهدف الاستعماريون في اعتداءاتهم ومؤامراتهم شعبنا العربي على امتداد وطنه الكبير ... فان رد الفعل الطبيعي لذلك أن يأخذ الشعب على عاتقه زمام الدفاع عن نفسه ومصالحه الحقة والمشروعة .

فهل كان الشعب في المعارك الماضية متفهما طبيعة دوره ، وملتزما بمتطلبات هذا الدور ؟!

ليس هناك من ينكر أن الجماهير العربية قد ضحت ، وأنها اندفعت الى ميادين النضال في مواقف خالدة ، حققت فيها الانتصارات ضد اعدائها ... وكانت ذروة ما بلغته في ثورة الجزائر الباسلة على محاولات محو

الوجود العربي فيها •

بل أن الثورات التي قامت بها الجماهير نفسها ، على النفوذ الاستعماري وعلى انظمة الحكم التي كانت ترتبط بهذا النفوذ بروابط العمالة والتسخير ، كانت تعبيرا عن حقيقة الرسالة التي يجب أن تنهض بها•

ومع كل ذلك فاننا في مواجهة التحدي الاستعماري الذى زرع اسرائيل سرطانا في قلب وطننا ، وراح يخدع الرأي العام العالمي بأن اسرائيل انما تمثل واحة الديمقراطية والتقدم في صحراء التخلف والبدائية العربية •••

أقول : اننا في مواجهة هذا التحدي اللئيم ••• لم نفعل شيئا !

فحياتنا ، ظلت هي حياتنا ، رتيبة ، تعني بالقشور ••• ولا تلتفت الى ما يحيط بها أو يتهددها من اخطار !

وحتى عندما انطلقنا في مطاردة النفوذ الاستعماري عن طريق الثورة عليه ••• ضعنا في متاهات التناحر الفكري وتوزعتنا الشعارات ، وصرنا نبدد من الجهود ونضيع من الامكانيات في الهدم أكثر مما ننفق على البناء •

واستطاع الاستعمار الذي خرج من الباب أن يعود الينا من النافذة تسلطا اقتصاديا ، بعد أن عجزنا عن تطوير مواردنا واستغلال طاقاتنا ••• بل بعد أن أصاب التفت جبهاتنا الداخلية فشلها عن العمل والانتاج •

ولا تسل عن جبهتنا العربية ••• وما أصابها من تصدع ونكسات طوال العشرين عاما الاخيرة •

من هنا فان علينا أن نعترف ـ ونحن بصدد اعادة تقييم الاوضاع والمواقف والقوى ـ أن الشعب لم يؤد واجبه كاملا ازاء المعركة •••

وأكثر من ذلك ، فان الشعب كان في واد غير وادي الحرب الذى يخندق فيه اعداؤنا •

وحتى عندما تناهت الى مسامعنا استعدادات العدو ـ بدعم من الاستعمار الغربي ـ لانتاج قنبلته الذرية ••• فان أهداب العرب لم ترف لهذا الخبر ••• وكأن الامر لا يعنيهم من قريب أو بعيد !

وكان طبيعيا اذن ... ان تقع النكسة .
فقد كنا نلهو ، في وقت يجد فيه العدو .
وكنا في شغل شاغل عما يدبر لنا في العلن وفي الخفاء .

واليوم حين نتنادى لاستيعاب درس النكسة ... فاننا نرجو ـ مرة أخرى ـ ألا نكون عاطفيين ، فنفور أياما وليالي ، وربما اسابيع وشهورا ، ثم نعود الى ما كنا عليه من التيه والضياع .

ان دور الشعب في الحرب الطويلة الامد التي نخوضها ضد العدو ، دور أساسي ، وذو فاعلية غير متناهية .

وقد نتسامح مع ما يصدر عن الحكومات والمنظمات ، في بعض المواقف ، ولكننا لا نستطيع ان نتسامح لحظة واحدة مع الاتكالية وعدم التحسس بالمسؤولية الكاملة والنهوض بعبئها كله بالنسبة للشعب عموما ، وللفرد المقيم في الوطن العربي على وجه الخصوص .

انها حرب واضحة الابعاد : فاما أن تسفر عن القضاء على العرب وجودا وحضارة ومستقبلا ... وأما أن تنتهي بخلاص هذه الامة من المؤامرة الخطيرة التي يمثلها وجود اسرائيل . وليس أمام الشعب من خيار .

فالوطن العربي لا يتسع للعرب واليهود معا ، ولن يكون هناك بينهما تعايش سلمي ، في أي ظرف من الظروف ... كما لم يكن مثل هذا التعايش منذ عرفنا التاريخ !

وما دام المنطق وكل دلالات الكفاح البشري لا تقبل هزيمة مائة مليون انسان عاشوا في وطنهم وتفاعلوا مع أرضهم آلاف السنين ، أمام مليونين من الغزاة ... فان النصر قطعا هو الخاتمة التي ستنتهي اليها هذه الحرب .

ولكننا لا ينبغي أن نستكين للبديهيات ، لان مسؤولية جيلنا تفرض على الشعب ان يؤدي دوره الان تضحية وبطولة واستبسالا ... ولا ينتظر طويلا ، لان الانتظار يكلفه الكثير على الطريق الذي يمشي فيه كرها أو طواعية .

لقد قامت اسرائيل على أشلاء شعب فلسطين ، وعلى حساب مقدسات المسلمين والمسيحيين ، بعد أن ظلت اليهودية العالمية تعمل وتعمل وتبذل وتضحي عشرات السنين • وحتى عندما رفعت علمها فوق الارض المقدسة ، فلم تشعر بالامن والاطمئنان ، وانما حولت من فلسطين المحتلة الى قلعة فجرتها بالخراب والدمار في لحظة اختارتها وحققت فيها أغراضها •

أما نحن فمنذ برزت قضية فلسطين للوجود فى اعقاب تصريح بلفور في ٢ تشرين الثاني من عام ١٩١٧ ، حتى ظهور اسرائيل فى ١٥ ايار من عام ١٩٤٨ كنا منشغلين بخوض المعارك مع الاستعمار الذى ظهر بحقده ووجهه الكالح في اعقاب الحرب العالمية الثانية ، عدوا يصب علينا من ذلك الحقد ما لم يصبه على اعدائه من الفاشست والنازيين ••• ومن عام ١٩٤٨ حتى نكسة الخامس من حزيران عام ١٩٦٧ عشنا الاوهام ، ونسينا خطرا اسمه اسرائيل ، وقاعدة استعمارية قامت في وطننا لتأديبنا كلما حلا للاستعمار أن يفعل ••• وقد كررتها اسرائيل مرتين : الاولى في ٢٩ تشرين الاول من عام ١٩٥٦ ، والثانية بعد أقل من احد عشر عاما في ٥ حزيران ••• وربما ـ اذا واصلنا النهج الذي سرنا عليه في الماضي ـ سيتكرر العدوان ، حين تتلقى اسرائيل الايعاز من جديد لمباشرته ••• بعد عام ، أو بعد أعوام ، كلما أحس الاستعمار انه في حاجة لمثل هذا العدوان !

ان النكسة يجب ان تعلمنا ان الشعب الذى يريد له الاستعمار الفناء ، قد وعى بعمق اهداف اعدائه ، وهو لذلك قرر ان يأخذ المبادرة بيديه •

ومن حسن الحظ ان فى الوطن العربي اليوم كثيرا من الحكومات الوطنية التي تتجاوب مع الشعب ، وتسير في كثير من الاحيان في طليعته توجيها ودعما للاهداف القومية •

فلا عذر اذن للشعب اذا ما تلكأ أو تقاعس •••

وليس من حق أي مواطن ان يتعلل بالمبررات مهما كانت في محاولة للتملص مما تلقيه على عاتقه مسؤولياته التاريخية في هذه المرحلة من حياة جيلنا •

ان قضية فلسطين أمانة في عنق كل واحد منا ، ولا تختلف مسؤوليتي ومسؤوليتك ازاءها عن مسؤولية أي مواطن آخر حاكما كان أو محكوما •

وما دمنا جميعا نعيش هذه الايام آلام النكسة ونتحسس جرحها العميق ونتنادى الى وحدة صف عربي ينتهي بوحدة جهد عربي ، فان المواطن مدعو الى أن يأخذ على عاتقه تحويل هذا الشعار الى حقيقة واقعة •

ان الجماهير مسؤولة في هذه المرحلة اكثر من مسؤولية الحكومات فقد وجدنا الحكومات أو أكثرها ، تمشي في الخط الذي يريده الشعب ••• أما الشعب نفسه ، فقد كان في أغلب الاحيان يكتفي بموقف المتفرج لا يتفاعل مع الاحداث ، ولا يؤدي واجبه فيها ، وكأن الامر لا يعنيه ، وهو ـ في كثير من المواقف ـ ينتظر من الحكومات ذاتها ان تفرض عليه العمل •

وهذا عندي سر النكسة ••• وسر تغلب الاعداء علينا •

ان الهوة التي حفرتها السلبية بين الشعب وبين الحكومات العربية ـ لظروف واسباب لا مجال لذكرها ، وربما كان بعضها تاريخيا ـ هي التي جعلت الحكومات تعمل ، والشعب لا يتجاوب معها ، أو لا يتعدى في موقفه دور المتفرج اللامسؤول غالبا !

والامر عند العدو على العكس تماما •••

ان وضوح الهدف بالنسبة لليهودية العالمية التي اغتصبت منا فلسطين جعل الشراذم التي استوردت من أوربا ومن جميع أطراف العالم لتكون شعبا لا تجمعه لغة واحدة ، ولا أصول عرقية متجانسة ، ولا حتى دين واضح المعالم في اذهان تلك الشراذم نفسها •••

أقول ان وضوح الهدف صهر شذاذ الآفاق الذين تنازعتهم الحزبية والتيارات الفكرية المتضاربة في فلسطين ـ قبل وبعد الاغتصاب ـ فاذا بهم جميعا يسيرون في خط واحد ـ رغم كل الخلافات التي تطحنهم ـ واذا بهم وهم لا يزيدون عن مليوني نسمة الا قليلا ، يستطيعون ان يقهروا مائة مليون عربي ، ويفرضوا وجودهم عليهم !!!

فاين جماهيرنا من هذا الدرس ؟!

اننا كلما تعاورت علينا النكبات ، وتعاقبت النكسات ، نرى شعبنا العربي وقد زاد تمزقا ، وتباعدت قواه المنظمة عن بعضها ، بل كفر حتى بالتنظيم بعد ان تحولت المنظمات الى أدوات لتحقيق المكاسب الشخصية ، وبعد أن انقلبت الى سلم يرتقي عليه ذوو الاغراض الذاتية ليبلغوا ما يريدون !

وكم من أبناء شعبنا من يتهرب من الجندية ... سواء كانت في خدمة العلم ، أو خدمة الاحتياط ؟!

أما العدو ، فان كل الرجال وكل النساء فيه ، يتلقون تدريبا ولقد رأى العالم بأم عينه ، كيف ان النساء الاسرائيليات ، يدخلن بيوت العرب في الضفة الغربية ، ليحصدن بالرشاشات النساء العربيات والاطفال العرب!

ان شعبنا لا يمكن أن يتخلص من آثار النكسة ، الا بالتضحية ، والا بأن يحمل العبء كاملا ، والا بأن يواجه مسؤولياته دون تهرب ، وبلا تردد .

أما ان تغلبي عواطفنا غضبا ثم تهمد بعد فترة قصيرة ... فأمر يؤلف عندي خطرا لا يدانيه خطر ... اذ سنواجه في وقت غير بعيد ، موقفا كالذي واجهناه يوم ٥ حزيران ، وعندئذ لا يجدينا نفعا ان نعض أصابعنا ندما ، حين يرتفع عدد اللاجئين من ابناء أمتنا مئات الوف أخرى ... بل لا يجدينا أن نردد ـ دون ان ندرك خطر خداع النفس ـ اناشيد العودة والتحرير !

وعلى الشعب كذلك ان يقدر بدقة وبحس عال بالمسؤولية قوى العدو ، فلا يستهين بها ، ولا يغالي في التخوف منها ... لاننا حين نعرف عدونا ، وحين نعرف مصادر قوته وفاعليتها ، يسهل علينا أن نستعد للمعركة باعداد ما نبلغ به النصر .

ان الاستخفاف بالعدو يضعنا في اللحظات الحاسمة أمام مواقف لا نملك معها ضربه والقضاء عليه ...

ولكننا مع الدعوة الى عدم الاستخفاف بالعدو ينبغي ألا نهول في قدراته وقابلياته ، فنحن ـ في اسوأ الظروف ـ أكثر منه عددا ، وأوفر أسلحة ، وأقدر على الصبر والاحتمال ... وحين يطول مدى المعركة فاننا نكسب في كل يوم اضعاف ما يخسره العدو .

ومرة أخرى نعود الى الشعب فنقول انه هو صاحب القضية ، وهو المسؤول الاول عن التعبئة المنشودة التي لا بد منها في سبيل تحقيق النصر .

واذا ما استطاع العدو أن يوالي كسب المعارك ... فمن الذي يدفع الثمن ؟!

انه الشعب ... ولا أحد غيره .

لقد عاشت الجماهير في الضفة الغربية تسعة عشر عاما ، تنتظر ساعة التحرير ، بالخطب والمقالات وقصائد الشعر ، وربما بالتنظيمات السياسية ... دون أن نرى جيشا للتحرير أو نرى تدريبا عسكريا ، للرجال والنساء والفتيان والفتيات على حد سواء . وعندما أقبلت قوى الغدر ، فقد تحولت تلك الجماهير الى طعام لنيران العدو ، أو تم تحويلها في ساعات الى قطعان هائمة على وجوهها ، لتضيف عشرات آلاف أخرى من اللاجئين ... في حين كان بوسع هؤلاء جميعا أن يقاتلوا ، ويصبروا ويصابروا ، حتى يطلع فجر النصر ، بل ربما كان ثباتهم من أسباب النصر ...والا فالشهادة هي أغلى مطلب ينشده المؤمن بربه وبعقيدته وبوطنه وانسانيته .

اننا جميعا مدعوون الى التحول من حياة البطر والترف والتحلل والانهزامية الى حياة جديدة ، يحكمها الواجب والايمان به والاستبسال في ادائه .

فلا يجوز لنا ـ بعد الآن ـ أن نهمل هذا الدرس أو نتجاوزه مهما كانت الظروف .

ولا يحسبن مواطن يقيم في الموصل أو آخر يقيم في الكلا أو ثالث يقيم في فاس أو رابع يسكن البحرين ، أو أى مواطن يسكن في

أطراف مترامية من الوطن الكبير ... أنهم في منأى عن كيد العدو ولؤمه وأذاه ، وأنهم لذلك يستطيعون أن يمضوا في حياتهم الرتيبة كما ألفوا حتى الآن .

ان اسرائيل لا تكتفي بما حققت ...

وان الذين وراء اسرائيل لن يتركوا قطرا عربيا واحدا دون أن يحاولوا اذلاله واخضاعه لمخططاتهم واطماعهم .

لقد ضربوا ضربتهم ، لا يقصدون بذلك القاهرة ودمشق والقدس وعمان ... وانما أرادوا أن يوقفوا مسيرة هذه الامة وزحفها المقدس نحو البناء والتقدم وبالتالي الوحدة التي لن يبقى في ظل علمها ، اثر من آثار الاستعمار والاحتكار والنفوذ والاستغلال .

والمواطن العربي الذي يستعد للمعركة ويعيش حالة الحرب ، انما يستعد ليوم آت لا ريب فيه ، ينقل فيه اعداؤنا الحرب ذاتها الى بيت كل واحد منا ... فهل نستنيم ، حتى نصحو - في يوم ما - على فجيعة جديدة ، تحول ملايين أخرى الى مشردين ولاجئين ؟!

أسلحتنا في الحرب

« هل استعملت الامة العربية كل اسلحتها ... حتى نقول بأنها خسرت المعركة ؟

« ان العرب لم يخسروا الحرب ، لانهم لم يستعملوا كل الوسائل والاسلحة المتوفرة لديهم » .

هكذا طرح الرئيس هوارى بومدين[1] القضية على الجماهير ... وبكل بساطة قدم لنا التشخيص الحقيقي للنكسة .

فالامة العربية لم تستعمل كل اسلحتها ... بل هي بالاحرى لم تستعمل الا النزر اليسير من هذه الاسلحة .

لقد باغتنا العدو ... حتى قبل ان نحشد جيوشنا في المواقع التي كان ينبغي ان تكون فيها .

وبدأ هجومه الغادر علينا ، غداة انعقاد مؤتمر البترول العربي الذى افتتح في بغداد عشية العدوان ... ولم يتخذ قراراته حتى كان العدو يبدأ مؤامرته وينفذ المخططات مع المتآمرين الانكلو اميركيين .

والتهبت مشاعر الجماهير ... ولكنها لم تأخذ مكانها من المعركة لانها لم تكن مستعدة لذلك بعد .

وحققت اسرائيل أغراض ضربتها الخاطفة ... لانها لا تستطيع أن تصمد لحرب طويلة الامد ..

---

(١) من خطاب القاه الرئيس الجزائرى مساء يوم ١٩ حزيران ١٩٦٧ .

وسلاحنا الماضي في هذه الحرب ، أننا نستطيع أن نصمد فيها الى ما لا نهاية .

ومع ذلك فقد امتثلنا لقرار مجلس الامن ... واوقفنا القتال .

ولا أريد هنا أن أناقش هذه الخطوة ، ولكنني اؤمن ، كما يؤمن كل عربي ، أن وقف اطلاق النار ، لا يعني انتهاء المعركة ، ولو أننا كنا قد أكملنا استعداداتنا ، وتهيأنا للحرب ، اذن لكان وقف اطلاق النار جريمة لا تغتفر .

ورغم كل الذى حدث ... فبوسعنا أن نستأنف القتال ساعة نشاء .

الا أننا لا نريد أن ننساق وراء العواطف وحدها .

علينا أن نعمل فورا ،وبدون تأخير على أن نكون في اقصى درجات الاستعداد للحرب .

ونحن قد طرحنا بعض اسلحتنا في المعركة الدائرة حين أوقفنا ضخ النفط عن الاعداء ... وحين شهرنا بوجوههم سلاح المقاطعة الاقتصادية ... وحين اغلقنا قناة السويس ، وحرمنا موانئنا ومطاراتنا واجواءنا ومياهنا على أية باخرة او طائرة من أساطيل وطائرات الاعداء .

ولكن ما زالت بايدينا اسلحة كثيرة معطلة عن العمل ...

ما زال بيدنا سلاح التعبئة الشاملة الذي لم نستخدمه بعد ، ولم نحاول تجربته حتى الآن .

وما زلنا حتى الساعة لم نلجأ الى سلاح التخطيط القصير الاجل أو أو الطويل المدى الذى نخوض به الحرب ونستعد لمواجهة متطلباتها .

وعندما نطرح كل هذه الاسلحة في المعركة ، فلن ننتظر النصر أجيالا اثر أجيال ... بل لابد أن يتحقق لنا ، وفي وقت قد لا يخطر ببال أكثر الناس تفاؤلا .

« ليس بنا والحمد لله ضعف الا اذا تفرق صفنا وتشتت شملنا ، فاذا وحدنا قوانا واستخدمنا جميع طاقاتنا وثرواتنا في خدمة اعدل وأقدس قضية

انسانية وعربية معا ، استطعنا ان نصمد أمام اعدائنا الصهيونيين وحلفا دون استمرار مظاهرة الاستعماريين لهم ضد حق عرب فلسطين بل ضد الامة العربية بأسرها في وطنها الممتد من المحيط الى الخليج » .

ان هذه الحقيقة التي عبر عنها الرئيس عبدالرحمن محمد عارف[1] ستظل قائمة ، بل ينبغي أن تكون دستورنا في المعركة المستمرة التي نخوضها ضد القوى الشريرة المتكالبة على نهب خيراتنا والتي لم تكتف بما حققت لشركاتها الاحتكارية من مصالح غير مشروعة على حساب شعبنا وأرضنا .. فهي منذ الحرب العالمية الثانية تحيك المؤامرات وترسم الخطط وتدبر المكائد لاذلال الامة العربية وتوجيه أقسى الاهانات والضربات لها فمن كارثة عام ١٩٤٨ الى عدوان عام ١٩٥٦ وها هي بالتالي تكشف النقاب عن حقدها الخبيث في ٥ حزيران من عام ١٩٦٧ وتريد بالتالي أن تستغل النكسة التي أصابت العرب لتحملهم على أن يسلموا بالامر الواقع ، ويرضوا باسرائيل احتلالا لاراضهم ، وندا مقبولا يجلسون معه على مائدة واحدة .. نشدانا للسلام ! .

ان العرب حين قطعوا البترول عن الاعداء .. وحين قرروا المقاطعة الاقتصادية لبضائعهم ، وحين أغلقوا قناة السويس بوجه ملاحتهم انما طرحوا أسلحة في ساحة المعركة قد لا يبدو أثرها بين يوم وليلة .. وانما قد تحتاج الى أسابيع وشهور ، حتى يظهر هذا الاثر واضحا جليا .

وحتى الساعة ما زال الاعداء يحسبون اننا لسنا جادين في اصرارنا على استخدام كل اسلحتنا في المعركة ... فهم يحسبون أن العرب لن يصبروا على انقطاع مواردهم من البترول . وعندما سيستمر وقف الضخ ، وستوقف مصانع أوربا وتشل حركة النقل البحري والجوي والبري عبر البلدان العربية الى دول العدوان .. عندئذ سيدركون اننا نملك أسلحة نستطيع بها على المدى الطويل أن نكسب المعارك .

---

(١) من خطاب القاه الرئيس العراقي في مؤتمر وزراء البترول العرب في بغداد مساء يوم ٤ حزيران ١٩٦٧ .

واذا ما ظن الاعداء اننا لا نصبر على توقف مواردنا من البترول ..
فهم واهمون .

لقد قالتها الكويت بلسان وزير خارجيتها الشيخ صباح الاحمد عندما التقى بالسفير الاميركي قبل العدوان بيومين اثنين : « قل لحكومتك ان تعالج الامور بحكمة وروية ، وقل لها بأن أهل الكويت الذين عاشوا على التمر والخبز ، قبل النفط ، يتوقون الى العودة للخبز والتمر ، اذا مست كرامتهم ، ويضعون قوميتهم فوق مدلولات النفط »[1] .

وما من شك أن الجماهير العربية في كل الوطن العربي الكبير ترى هذا الرأي ، وتؤمن بأنها تستطيع أن تستغني عن البترول اذا ما كان الامر متصلا بمعركة مصيرية كالتي نخوضها اليوم . لان كرامتنا وشرف أمتنا فوق كل اعتبار . ولاننا نستطيع أن نضحي بالمال وبالترف وحتى بلقمة العيش ، ولكننا لا نستطيع أن نتنازل عن حقنا ، ولا نسمح لاي كان أن يمس كرامتنا وينال من شرفنا .

ان أوربا وحدها تعتمد في استهلاكها البترولي بنسبة ٦٨ بالمائة على نفط الوطن العربي .

وان نصف ما تنفقه الولايات المتحدة الاميركية على مجهودها الحربي في فيتنام والشرق الاقصى يعتمد على نفط الخليج العربي ..

وحين نتساءل : من أين يتزود الاسطول السادس الاميركي بوقوده فنجد أنه من بترول الوطن العربي .. فلا مناص من أن يكون رد الفعل لذلك أن نبادر الى قطع هذا المورد المهم عن المعتدين ، ولابد أن نضعهم أمام الامر الواقع ، ولا نسمح لهم بأن يضعونا هم أمام الامر الواقع الذي يريدون .

أما المقاطعة الاقتصادية فانها لابد أن تلحق بدول العدوان الثلاث : أميركا وبريطانيا والمانيا الغربية أفدح الضرر . اذ بلغت استيرادات الدول الاعضاء في جامعة الدول العربية باستثناء الاقطار العربيةالتي لم تنل استقلالها

---

(١) صحيفة اليقظة الكويتية العدد السابع الصادر في ٥ حزيران ١٩٦٧ .

حتى الان والتي ستهب لاشهار سلاح المقاطعة تضامنا منها مع الدول العربية الاخرى رقما رهيبا ..

فقد استوردت دول الجامعة وحدها من أميركا في عام واحد ما قيمته ١٩٦٫٧٨٦٫٢١١ باونا استرلينيا . أما من بريطانيا فقد بلغت قيمة الاستيرادات ١٦٦٫١٩٦٫٣٢٢ باونا استرلينيا في حين بلغت الاستيرادات من المانيا الغربية ١٠٠٫٤٨٠٫٧١١ باونا استرلينيا ... أي ان مجموع هذه الاستيرادات قد بلغ في عام واحد ٤٦٣٫٤٦٣٫٢٤٤ باونا استرلينيا .

وعندما تخسر الدول الثلاث أسواق العالم العربي ، آنذاك ستفكر جيدا ، وستزول عن عيون شركاتها الاحتكارية الغشاوة التي وضعتها اسرائيل واليهودية العالمية ، فحملتها على أن تقف موقفها الدنيء من العرب وأن تتحداهم وتسخر من أمانيهم وتهزأ بحقوقهم .

ولا شك أن المعركة الاقتصادية التي نخوضها ضد العدو تحتاج منا صبرا وتضحية وصمودا ، لان من يضحك ـ في هذه المعركة ـ أخيرا ، فهو الذي سيضحك كثيرا .

وقد يتعرض المواطن العربي لبعض المضايقات نتيجة الانعطاف الاقتصادي الذي فرضته ظروف المعركة وظروف المقاطعة الاقتصادية ... ولكننا بالصبر وبالصمود وبالارتفاع الى مستوى المسؤولية القومية التي تفرض علينا التضحية وشد الأحزمة على البطون والاستعداد لحرب طويلة الأمد ... بكل ذلك نستطيع أن نرغم العدو على احترامنا ، ونكرهه على أن يحسب حساب الاسلحة التي نملكها والتي نستطيع أن نؤثر باشهارها على حياته ورفاهه واستغلاله ومصالحه .

ان الولايات المتحدة الاميركية التي تزعم أنها لا تهتم بالبترول العربي تستورد من بترولنا ٢٠ مليون طن أي بنسبة ١٦٪ من مجموع ما تستورده لاحتياجاتها بينما تستورد كندا من البترول العربي ٧ ملايين طن أي مايؤلف ٢٥٪ من نسبة استيراداتها .

أما أوربا الغربية فان حياتها الاقتصادية متوقفة على تدفق البترول

العربي ••• والاحصائية الآتية توضح هذه الحقيقة وهي مستقاة من أرقام استيرادات النفط الخام العربي بملايين الاطنان لسنة ١٩٦٥ :

القطر	الاستيراد من الدول العربية	مجموع الاستيراد الكلي	نسبة البترول العربي للمجموع
المملكة المتحدة	٤٤ر٠	٦٣ر٩	٦٩٪
المانيا الغربية	٤٤ر٦	٥٩ر١	٧٥٪
فرنسا	٤٧ر٦	٥٨ر٦	٨١٪
ايطاليا	٥٦ر٨	٦٧ر٩	٨٤٪
اسبانيا	٩ر٩	١٣ر٣	٧٤٪
هولندا	٢٠ر٦	٢٦ر٣	٧٨٪
الدول الاخرى	٣٢ر٣	٨٨ر٧	٣٦٪
المجموع الكلي	٢٥٥ر٨	٣٧٧ر٨	٦٨٪

هذه الارقام حين تتكلم ••• وحين تفرض على اوربا الغربية وعلى المعسكر الغربي الاستعماري الواقع الذي يريده العرب ، فان نتيجة المعركة، لن تكون خسرانا لنا كما يحاول الاستعماريون ودعاتهم ان يصوروا الامر ••• بل لابد أن يفهم الذين ركبوا رؤوسهم وتحدوا الامة العربية ، أننا نستطيع أن نعاقبهم ، وأن عقابنا لهم لن يكون مجرد دعاية •

لقد حاربونا بقنابل النابالم ، وبسطوا مظلتهم الجوية على اسرائيل ليطلقوا يدها في ضربنا ••• ورفضوا أن يدينوا عدوانها ـ مجرد ادانة أدبية أو سياسية ـ فلا أقل من أن نواجههم بما نملك من أسباب الردع •

واذا لم يكن بوسعنا أن نثأر من اميركا وبريطانيا والمانيا الغربية ، في ميدان القتال ، فبوسعنا أن نحاربها في ميادين أخرى ••• وأعتقد أن الميدان الاقتصادي هو أمضى ميادين الحرب اثرا في حياة هؤلاء الذين تجردوا من ضمائرهم وراحوا يظاهرون العدوان ويسندونه ويريدون أن يذلونا ليستمروا في احتكار ونهب ما نملك ، وليسدوا علينا أبواب التحرر والانطلاق ••• وهيهات •

سلاح الوحدة

أما سلاحنا الذى ما زال حتى الآن في غمده ... والذي طال عهد انتظار الجماهير له ... فهو الوحدة .

ولو أننا استطعنا أن نرتفع فوق الانانيات ، ونقيم الكيان الوحدوي بأي شكل من الاشكال ... لما حدثت النكسة الاخيرة قطعا .

ان الزخم الوحدوي كان يندفع في أعقاب كل كارثة يصاب بها العرب ...

ولكننا لم نزل حتى الآن نعيش بلا وحدة ...

وقد لا يكون من الضروري أن تقوم وحدة دستورية فورية ... بل من الضروري أن تقوم وحدة سياسية وعسكرية واقتصادية على الفور وبدون تأخير .

ان العرب الذين تطلعوا جيلا بعد جيل الى الوحدة بوصفها الهدف الذي أغمض الشهداء عيونهم على مشانق جمال السفاح في دمشق وعالية وبيروت وهم يحلمون بتحقيقه ، وضحى ابناء هذه الامة منذ نيف وخمسين عاما في سبيل بلوغه لانه سيعيد للعروبة مجدها ، ويقيم لشعبها دولته الواحدة ... هذا الهدف لم يعد مجرد هدف لذاته . وانما هو اليوم وسيلة وضمان لمستقبل الوطن العربي ، وللاجيال التى ستعيش في هذا الوطن .

فبغير الوحدة لا نستطيع أن نواجه التحدي الذى خرج به علينا

الاستعمار ، عندما زرع اسرائيل في قلب وطننا العربي ... ومد لها في حبل الجرأة والاستهتار حتى تهدد الامة العربية كلها تهديدا استعماريا مباشرا .

ولقد كان هناك مسعى وحدوي بدأ في اعقاب كارثة عام ١٩٤٨ حين ارتفع شعار الاتحاد العراقي ـ السوري في محاولة لتقليص الكيانات العربية ومواجهة آثار النكبة التي اخذت تتجلى في الانقلابات العسكرية المتوالية في دمشق ... الا أن ذلك المسعى لم يلبث ان قبر بسبب الاطماع والاحقاد والتيارات الغريبة التي اقتحمت أهدافه وشوهتها حتى تحول الاتحاد من جهد قومي الى مناورات تلعب فيها المخططات الاستعمارية أبشع دور !

وفي اعقاب العدوان الثلاثي جاءت الوحدة السورية ـ المصرية لتقيم الجمهورية العربية المتحدة نواة وقاعدة للعمل الوحدوي الذى تريده الجماهير .

ولكن الوحدة الرائدة لم تصمد للتآمر الاستعماري والرجعي ولاحقاد بعض محترفي السياسة من ادعياء العقائدية الزائفين ... فانهارت فجر يوم ٢٨ ايلول المشؤوم من عام ١٩٦١ .

وأحس الرئيس جمال عبدالناصر في أعقاب اجتماع لمجلس الدفاع العربي الاعلى بأن الموقف العربي يتطلب وحدة عمل عربية ولو على الصعيد العسكري ... فطلع بدعوته الى مؤتمر القمة العربي الاول الذي شهدته القاهرة في ١٣ كانون الثاني من عام ١٩٦٤ . ثم كان من حصيلة ذلك المؤتمر انبثاق القيادة العسكرية العربية الموحدة وقيام منظمة التحرير الفلسطينية .

الا أن الاحداث سارت في مجرى غير الذي رسمته له روح مؤتمر القمة العربي الاول . ثم تحولت القيادة العربية الموحدة الى مجرد هيكل لا روح فيه ، وجاءت احداث ٥ حزيران ١٩٦٧ لتحمل معها النكسة الخطيرة التي كانت نتيجة حتمية لتفرق كلمة العرب وتبعثر شملهم وابتعاد بعضهم عن البعض الآخر ... بل اشتباك بعضهم مع البعض الآخر في معارك جانبية ، كان الاستعمار وابواقه المسمومة وعملاؤه وشبكاته ، تستغلها اشنع استغلال .

واليوم ، ونحن نصر على تحويل المعركة التي خسرناها الى نصر نهائي

سواء على المدى القصير أو المدى الطويل ... لا نجد مندوحة من أن نلجأ الى سلاح الوحدة باعتباره السلاح الاول والاقتل والامضى ضد اعدائنا وضد كل مخططاتهم وأعوانهم .

ان الوحدة الان ضرورة وليست هدفا عاطفيا نملأ به نفوسا عزة ونحن نردد نشيد :

بلاد العرب أوطاني ... من الشام لبغـدان
ومن نجد الى يمن ... الى مصـر فتطـوان

وقد لا تكون الظروف مهيأة لقيام هذه الوحدة بين الدول العربيـة جميعا ... فلا أقل من أن نطرحها لانضمام الدول المحيطة بفلسطين اليها .

واذا ما كانت ثمة اعتراضات على قيام وحدة دستورية فورية ... فان احدا لا يعترض على قيام أية صيغة وحدوية تشمل على سبيل المثال لا الحصر في الظروف الراهنة على الاقل كلا من العراق وسوريا والاردن والجمهورية العربية المتحدة والكويت .

وقد لا يكون مهما ابدا أن تتوحد الرئاسة او يتوحد العلم ، أو تتوحد الاجهزة التنفيذية . ولكننا نريدها وحدة فورية لا تقبل التلكؤ في الميـادين الآتية :

١ ـ الحقل السياسي .
٢ ـ الحقل الاقتصادي .
٣ ـ الحقل العسكرى .

وحين تكون لنا سياسة واحدة ، واقتصاد متكامل ذو أهداف وحدوية في خدمة النضال العربي ، وجيش عصري واحد ... فان الاشكال الدستورية للوحدة ، لا تعني عربيا واحدا في الوقت الحاضر من قريب أو بعيد .

ولا بد بطبيعة الحال ان ينفتح هذا التنسيق الوحدوي على الدول العربية الاخرى ، فيرحب بكل دولة شقيقة تنضم اليه ، في أي ميدان من الميادين الثلاثة ... سياسيا كان أم اقتصاديا أم عسكريا .

ولا بأس في هذه الحالة أيضا من اعادة النظر في ميثاق جامعة الدول العربية ليجعل من هذه المنظمة الاقليمية اداة فعالة في خدمة العمل العربي الوحدوي الى جانب أول كيان وحدوي يقوم بين الدول المحيطة بفلسطين •

أما روح الاقليمية ، فلا بد لنا من أن نضع حدا لاثار سمومها ••• ولما يفعله دعاتها •

لقد لجأ عدونا الى تغذية الفرقة بين الاقطار العربية ، بحيث مر علينا زمن كانت فيه الدعوة الوحدوية تؤلف تهمة على من تلصق به أن يدفعها عن نفسه كما يدفع تهمة العمالة او الارتماء في أحضان الاجنبي !

وهكذا سار ركبنا ممزقا طوال تسعة عشر عاما كان حصادها أننا هرعنا الى المعركة فرادى وعلى عجل فجاءت ضربة عدونا مستعجلة غادرة ، قبل أن نتهيأ لها ، أو قبل ان نحشد في خوضها قوانا وطاقاتنا •

ان الدرس الذي ينبغي أن نتعلمه ونعيه ونمضي في استيعابه هو اننا خسرنا المعركة بعد أن سمحنا لعدونا أن ينفذ الينا من الثغرات ونقاط الضعف الكثيرة التي نعيشها •

وقبل أن تقوم اسرائيل ، كان الاستعمار يزرع في وطننا سياسته المشهورة فرق تسد •

أما بعد قيام اسرائيل ، فقد كانت الحرب معلنة من كل اعداء الامة العربية ضد الوحدة ، وضد اي عمل وحدوي على أي نطاق كان •

حتى جامعة الدول العربية ، وحتى المجلس الاقتصادي العربي ، وحتى السوق العربية المشتركة •• كل هذه الاجهزة تحولت بمرور الوقت الى هياكل أو دواوين روتينية لا تغني ولا تسمن من جوع •

بل بات عقد مؤتمر القمة العربي متعذرا حين اتسع نطاق الخلافات بين الدول العربية الى حد تحولها الى عداوات ، ومهاترات وضراع سياسي على المكشوف !

وحين ادلهم الخطب ••• لم ترتفع صيحة التضامن والتساند ووحدة الصف الا بعد فوات الاوان !

واليوم ، ونحن بعد نعاني جراح النكسة ... نجد أنفسنا مقصرين في استخدام اسلحتنا لربح المعركة ... وأول هذه الاسلحة هو الوحدة .

وبدون أن تكون العاطفة دافعنا أو دليلنا ... نرى أن نبادر الى تحقيق الوحدة ارتفاعا فوق كل النوازع الاقليمية ... فالعدو يعاملنا على أننا عرب ، لا يفرق بين عراقي ومصري وسوري واردني وكويتي ولبناني وجزائري .. في مطامعه انما يتطلع الى اقطارنا جميعا يريد ان ينهب خيراتها ويسيطر على مواردها ويستحوذ على مقدراتها .

فكيف نسمح لدعاة الاقليمية الذين روجوا لمفاهيمها من خلال الاخطاء أو العثرات ، أن يمرروا ما يريدون تمريره بعد اليوم ؟!

أيجوز لعربي ان يفكر تفكيرا اقليميا ضيقا ، بعد ان لاحت له النذر التي ستجعل من وطنه الصغير لقمة سائغة بافواه الاستعمار واليهودية العالمية ؟!

واذا لم نرتفع الى مستوى مسؤوليتنا القومية في هذه المرحلة التاريخية الحاسمة من حياة أمتنا ... فمتى سنفعل اذن ؟!

اننا ينبغي ان نذكر دائما ان الوحدة ـ رغم كونها حلما لذيذا من احلام أمتنا ـ فهي كذلك عمل شاق يتطلب تحقيقه بذلا وتضحيات ..

وجيلنا الذى وضع القدر على عاتقه مسؤولية تثبيت الوجود العربي في هذه المنطقة من العالم ، والدفاع عن التراث التاريخي لامتنا ولدينها الاسلامي العظيم ، انما سيمتحن في مرحلة التحول التي تمر بها ، بالوحدة فأما أن يرفع علمها ، وتستظل الزحوف بهذا العلم وهي تحمل مسؤولية الذب عن حياض العروبة والاسلام ... وأما أن تتهاون مرة أخرى ، فتضيع من حياتنا وتاريخنا ومستقبلنا قرون تالية ، ربما لا تكون أقل ظلاما من الفترات الحالكة التي عاشتها الاجيال العربية في القرون الوسطى ... ولكننا رغم ظلام تلك الفترات لم نسمح لغاز أن يطمس وجودنا القومي ، أو نترك غريبا عن الاسلام يحمل رايته ، بل انصهرت حتى الشعوب الغازية في بودقة ديننا ، فمضت معنا متآخية ، رافعة لواء الوحدة الاسلامية ، وسارت في يوم محجل من أيام التاريخ زحوف عربية

مسلمة يقودها كردي من العراق هو البطل صلاح‌الدين الايـــوبي ليحرر فلسطين من أيدي الغزاة الصليبيين •

ان الوحدة التي نريدها ••• ليست وحدة موقتة ، يفرضها طـــرف خاص ، لينسفها ظرف خاص آخر •

انها وحدة تفرضها متطلبات معركة المصير ••• ومعركتنا لا تقـــاس بالوقائع ولا بالايام • انها معركة مستديمة ، لن تنتهي الا بانتهاء اطمـــاع الطامعين في وطننا وأرضنا وأمتنا •

وستكون الوحدة التي نريدها اليوم ، هى الدرع الذى يحمي وجودنا القومي ، وهى القاعدة التى نبنى عليها كياننا الوحدوي الذى ترفرف ألويـة المجد فوق أرضه من المحيط حتى الخليج •

في معركة الإعلام

من قبل أن تخلق اسرائيل في الظروف التي أعقبت الحرب ... ومن قبل أن تكون للدول العربية حرية العمل في المجالات السياسية الدولية ،بسبب القيود التى كانت تكبل حركتها وبسبب أنظمة الحكم التي كانت تتلقى الوحي من الاجنبي وترتبط برباط العمالة بدول الاستعمار وبقـــواه الاحتكارية ، وبسبب ضعف الامكانيات المادية للعرب عموما نتيجة استغلال مواردهم الطبيعية من جانب المتسلطين عليهم اقتصاديا وسياسيا وفي بعض الاحيان عسكريا •

قبل ذلك كله ، كانت اليهودية العالمية تستعد ، وتعمل ، وتكسب المواقع على شتى جبهات الرأي العام العالمي •

ومع أن أغلب شعوب الارض ـ ان لم نقل كلها ـ تكره في اليهـــود ازدواجية ولائهم ، وتعرف أنهم لا يخلصون للوطن الذي يؤويهم ، بل يؤثرون العزلة والانكماش بقصد الاستغلال وفرض وجودهم ، وحتى عندما ينفتحون على المجتمعات والافراد ، فانهم لا يفعلون ذلك الا لافساد الذمـم وشراء الضمائر •• فقد شهدنا العجب يوم أقدمت اسرائيل على عدوانها الغادر الاثيم ، اذ بادرت كل اجهزة الاعلام من اذاعة وصحافة وتلفزيون الى شن هجوم عدواني مماثل جاء موقوتا مع العدوان الثلاثي وكأنه يؤلف صفحة من صفحات المعركة كما يقول العسكريون !

لماذا حدث هذا ؟

واين ما فعلناه في سبيل كسب معركة الاعلام ؟

أسفا أقول : اننا لم نفعل شيئا ذا بال ... وعلى سبيل ممارسة النقد الذاتي يجب ان نعترف باننا لم نقابل ما فعله عدونا ولو بواحد من المليون !

لا أريد أن ألوم أحدا في الوطن العربي ...

ولكنني في هذه السطور ، أحاول ان استكشف الطريق الى سد ثغرة ينفذ منها اعداؤنا بيسر وسهولة ... ويضيعون علينا صداقات دول وعواطف شعوب ... ثم يحولون هذه الصداقات والعواطف الى جانبهم ويستثمرونها أبشع ما يكون الاستثمار .

ولنعترف سلفا أننا في حقل الاعلام نخوض معتركا شائكا ، سبقنا اليه العدو ، بمراحل طويلة ...

وقد قرأت ذات يوم احصائية عن تغلغل اليهود في صحافة العالم ، فوجدت أكثر من اربعة آلاف صحيفة في كل قارات العالم يشتغل فيها يهود أو يسيطرون عليها أو يمتلكون زمام الامور في توجيهها .

أما الاذاعات ووكالات الانباء ومحطات التلفزيون وصناعة السينما في العالم فحدث عن سيطرة اليهود أو تغلغلهم فيها ولا حرج .

كيف اذن نواجه هذا التسلط على أجهزة الاعلام ووسائله ... وكيف نستطيع أن نحد من فاعلية هذه الاجهزة في الاساءة لقضايانا وسمعتنا وتاريخنا ... وبالتالي كيف نستطيع ان نكف نتائج عبث هذه الاجهزة في تشويه الحقائق واظهارنا بمظهر المعتدين ، واظهار اسرائيل ـ كما يقول انصارها وعملاؤها ـ بمظهر الواحة الديمقراطية أو منارة الحرية في صحراء الوطن العربي وليله الداكن السواد ؟!

كيف نستطيع أن نواجه فاعلية اليهود المنتشرين في كل ارجاء العالم والمسيطرين ـ حيثما استطاعوا الى ذلك سبيلا ـ على أسواق وتجارة واعلانات الصحف والاذاعات والتلفزيون والسينما ... وهم حيث يعيشون زهاء اثنى عشر مليون داعية لاسرائيل التي لا تضم الان أكثر من مليوني نسمة ؟!

ان معركتنا الاعلامية مع العدو ، قد تبدو أصعب من معركتنا العسكرية ... ومع ذلك فلا بد لنا أن نخوضها ، لانها هي بداية عملنا من أجل بلوغ

النصر ودحر الشر والقضاء على العدوان المتمثل بوجود اسرائيل •

لقد استطاع اليهود أن يضللوا الرأى العام العالمي ويفسدوا نظرة الشعوب للحقائق حين عجز الحق العربي عن بسط قضيته على الدنيا بأوسع نطاق ••• وحين اكتفينا من التوعيةوالاعلام ، بمحاولة توعية أنفسنا واعلام جماهيرنا ••• ولن أكون مخطئا اذا قلت اننا حتى فى هذه المهمة لم نوفق الى ما نريد !

فالجيل الذي ولد بعد ضياع فلسطين ••• أو كان فى سن لا تسمح له بمتابعة احداث مأساتها يوم وقعت فى ربيع عام ١٩٤٨ ، ظلت الصورة مشوشة في ذهنه عن القضية حتى وقع العدوان الثلاثي الغادر الجديد ، وعندئذ فقط وضحت الصورة بابعادها الحقيقية لمن هم الان في العشرين أو الثلاثين من العمر •

ولا شك ان هذه الحقائق المريرة ، تفرض علينا ان نواجه الموقف بخطط ومجهودات مدروسة ومنسقة ومعدة اعدادا علميا يستند الى آخر ما توصلت اليه أساليب مخاطبة الشعوب والتحدث الى عقولها وتعرف أمزجتها ونفسياتها •

ان من الغريبأن تفعلاسرائيل كلذلك فيمجالات كانت مفتوحة أمامها ومستعدة لتلقي مانقول ••• وأخص بالذكر اقطارا في القارتين: الافريقية والاسيوية • ولقد بذل العرب من العون لشعوب هاتين القارتين ماديا وأدبيا ما جعلها تكسر من حول عنقها طوق الاستعمار وتقذف به بعيدا عنها•ولكنها ما أن ترفع أعلامها وتبدأ مسيرة التحرر ، حتى تقع في شباك اسرائيل ،وحتى نسمع ان هذا الزعيم الافريقي او هذا الرئيس الاسيوي ، قد اتجه لزيارة تل ابيب ، أو أشاد بدمقراطية وتقدم دولة الاغتصاب والغدر ، أو عقد معها اتفاقية معونة فنية او اقتصادية !!

قد يقال وماذا تصنع أجهزة الاعلام في مواجهة هذا الموقف ؟

وبغير تردد أجيب ، بان معركة الاعلام لا ينبغي ان تكون من واجب اجهزة الاعلام ومسؤوليتها وحدها •

ان دبلوماسيتنا العربية بمجموعها مسؤولة عن ذلك ..

بل ان تخطيطناالسياسي الخارجيلمجموعة الدولالعربية كلها،هوالذي ينبغي أن يعمل يدا بيد مع الاجهزة الدبلوماسية والاعلامية والاقتصادية ، لخوض المعركة ازاء التحدي الاسرائيلي في مجالات بسط الحقائق أو تشويهها ... وفي مجالات كسب الشعوب أو معاداتها .

انني أفهم جيدا ، لماذا تنشر صحف بريطانيا بروح التشفي صور ضحايا العدوان الغادر من العرب ... دون ان يتحرك ضمير الشعبالبريطاني ولو من باب الشعور الانساني ، احتجاجا على هذا النشر على الاقل !

وأفهم أن تتولى اجهزة التلفزيون في المانيا الغربية تقديم البرامجالمضللة عن وحشية العرب وانسانية اليهود ..

وافهم كذلك ان تنشر صحف الولايات المتحدة الاميركية على صدر صفحاتها الاولى النداء القائل :

« ادفع دولارا تقتل عربيا » !

ولكن لماذا لا تتفهم الشعوب الاخرى قضيتنا ... ولماذا لا تتحرى وجه الحق من هذه القضية فتقف الى جانبه ؟!

أذكر ـ على سبيل المثال ـ أنني جلست على مائدة عشاء مع رئيس اتحاد الصحفيينفي احدىدول افريقيا السوداء المسلمة ، في برلينالديمقراطية في خريف عام ١٩٦٦ . وعندما سألته :

ـ لماذا لم تصوت الى جانب قرار طرحته الوفود العربية الى دورة منظمة الصحفيين العالمية باعتبار يوم١٥ أيار يوم تضامن مع شعب فلسطين ..؟

قال لي على الفور :

ـ وماذا تحسبني اعرف عن قضية فلسطين ؟ انني لا أعرف عنها شيئا ، وليس من حقك أن تسألني التأييد لموقفكم ، وأنتم لم تفعلوا شيئا من أجل تعريفنا بوجه الحق من قضيتكم !

قلت له :

ـ ولكن أحسب أنك لا بد أن تعرف شيئا عن قضية شغل بها العالم

منذ ثمانية عشر عاما وما زالت تعرض في كل سنة على الامم المتحدة وتتخذ بصددها القرارات ... وأنت ـ صحفيا ـ مدعو الى متابعة المشكلات الانسانية وقد تمثلت على مسرح فلسطين في عام ١٩٤٨ أشنع مأساة عرفتها البشرية في تاريخها القديم والحديث .

وأشاح الرجل عني بوجهه ... وهو يتمتم :

ـ لا ... ليس مفروضا في أن أعرف كل شيء عما يجري في العالم ... انها مهمتكم ، أن تعرفونا بمشكلاتكم ، وان تطرحوها على الرأى العام العالمي ، باسهاب ووضوح .

* * *

وفي ربيع هذا العام سألتني صحفية ألمانية بلهفة :

ـ ولكنكم كيف ستحلون مشكلة اسرائيل ... أتستطيعون ان ترموا سكانها جميعا في البحر ، أم ستعمدون الى قتلهم عن بكرة أبيهم ؟!

قلت وأنا افتح فمي دهشة واستغرابا :

ـ اريد ان اسألك اولا : من قال لك اننا سنفعل ذلك ؟ من قال لك اننا سنقتل الذين يقيمون حاليا في فلسطين المحتلة او نرميهم في البحر ؟

قالت ببساطة :

ـ هذا ما أسمعه دائما ...

قلت : وهذا ما يضللونكم به دائما !

ان اليهودية العالمية تعرف كيف تخاطب الشعوب ... أما نحن فلا ندري اننا بتصريحاتنا الجوفاء ، وأقوالنا اللامسؤولة وغير المدروسة ، نقدم أفضل مادة يستغلها عدونا فيشوه سمعتنا ويطمس حقائق قضيتنا ، وينفر الشعوب حتى من الاستماع لنا .

لقد تاجرت اليهودية العالمية باضطهاد النازية لها ... وباتت تستدر عطف الرأى العام الدولى عليها بسبب ما أصابها أبان وقبل الحرب العالمية الثانية .

أما نحن فقد اكتفينا بان نحدث انفسنا عن الاساليب النازية التي مارستها اسرائيل ... ابتداء من مذبحة دير ياسين ... وانتهاء بهتك حرمة المسجد الاقصى !

وبين يدي رسائل تلقيتها من مواطنين عرب يسكنون اوربا واميركا ... ويكتفون فيها ، بالاعراب عن مشاعر التفجع والاسى ، وأحيانا يبللون رسائلهم بالدموع حزنا على النكسة التى تعرضت لها الامة العربية .

اننا نملك جيشا ضخما من الدعاة نستطيع ان نعبئه ونزج به في معركتنا مع العدو ابتداء من اميركا اللاتينية ومرورا بالولايات المتحدة الاميركية ودول اوربا جميعا وكثير من اقطار افريقيا واسيا ، وانتهاء باستراليا ، حيث ينتشر المهاجرون العرب ، وحيث يستطيعون ان يفعلوا الكثير مما لاتملك اية سفارة عربية ان تفعله ... فلماذا يبقى هذا الجيش الكبير متخلفا عن خوض المعركة؟ ولماذا يظل تائها بلا دليل يقوده في معمعانها ؟

وطلبتنا في الخارج ، يصلحون أن يؤدوا دور السفارة العربية خير ما يكون الاداء ... فلماذا لا نستعين بهم ، ولماذا لا نضع بين ايديهم من وسائل ايضاح الحقائق وبسطها ما يساعدهم على اداء مهمتهم القومية ؟

واذاعاتنا ... متى تصل بالصوت العربي الى آذان المخدوعين ؟

لقد حان الوقت لتكون لنا اذاعات موجهة ، تواكب المعركة ، وتصل الى كل مكان في الارض بقوة ووضوح وتقتحم مسامع الذين في آذانهم وقر ... وبالحقائق ، لا بالصراخ نستطيع ان نصل الى العقول ثم الى القلوب.

أما مكاتبنا الصحفية ، فيجب أن تدعم بأقوى ما نملك من القابليات والطاقات الفكرية والبشرية ...

ولا يصح أن نتردد في البذل ... بل قد يكون واجبا علينا ان ننفق في معركة الاعلام قدر ما ننفق على التسليح .

اننا مدعوون الى ان نعيد الرأى العام العالمي الى صوابه باتباع كل السبل والاساليب الشريفة التى تؤدي بنا الى ذلك .

والا فكيف لا يزال على وجه البسيطة من يعتقد ان اسرائيل هي ضحية

العدوان العربي ... ما لم تكن الفشاوة التي وضعتها اليهودية العالمية على ضمير الانسانية من الصفاقة بحيث جعلت حكام شعوب كثيرة يسايرون العدوان ويتسترون عليه وينفذون ـ عن قصد أو بغير قصد ـ ما يخطط وما يريد ؟!

ان معركة الاعلام التي لا تقل اثرا وخطرا عن معركة الالتحام العسكري تتطلب من العرب جهدا على جبهتين :

الاولى ـ عربية .

والثانية ـ عالمية .

وعلى الجبهة العربية ، لابد من تخطيط واسع المدى ، وعلى أبعد نطاق من الشمول يتناول تنسيق الجهد وتحديد الاهداف ورسم الخطط والتعاون المجرد من الانانية فى التنفيذ ، على صعيد التوعية المحلية او على صعيد مخاطبة شعوب العالم .

وقد يكون من المفيد أولا ان نطرح قضية فلسطين على شعبنا بكل حقائقها التاريخية والانسانية والسياسيةوالاقتصادية ... ثم نخلص منها الى النتائج الخطيرة التي ستترتب على استمرار وجود اسرائيل ، بالنسبة لمستقبل الوطن العربي والاجيال التي ستتوارثه ... أتريد أم ترضى أن تعيش عيشة العبيد في ظل النفوذ الاستعماري الذي لا تمثل اسرائيل منه الا رأس الجسر ... أم هي تأبى ذلك ، كما أبته أجيال سابقة ، وتعتزم النضال حتى تبلغ الغاية التى سقط من أجلها أول شهيد على الارض العربية ؟

ثم من واجبنا ، وقد اكتشفنا دائما ان الاستعمار ، من خلال مأساة فلسطين قد استطاع ان يمزق شملنا ويشتت مجهوداتنا ، ويبدد قوانا في خلافات جانبية يفتعلها حينا ويجرنا اليها احيانا ... أن نرفع ـ باخلاص حقيقي ـ شعار ، اننا في ساحة فلسطين نلتقي جميعا ، ونتسامح في كل شيء ، وننسى ذواتنا ومطامحنا وحساسياتنا ... ولا نذكر الا فلسطين .

أما على صعيد الجبهة العالمية فاننا مدعوون للصمود والصبر والكفاح بطرح قضيتنا على الشعوب طرحا مباشرا عن طريق الاسهام في كل المؤتمرات الدولية وعن طريق استغلال المناسبات المختلفة ، حتى ولو كانت

معارض تجارية أو ندوات ثقافيـة أو مباريات رياضية لنقول للعـالم الذي يتصور اننا ما زلنا نركب الجمال ، ونعيش حياة الف ليلة وليلة بحريمها وجواريها ... اننا شعب نعيش حضارة القرن العشرين ـ لا مساوئها ـ واننا ورثة الحضارة الانسانية التي لولاها لانطفأ المشعل ، ولما ظل يتوهج بالعلم حتى الان ...

وهذا الـكلام نملك القدرة عـلى قوله بألسنتنا ، وبتصرفاتنا ، نـم بالمطبوعات التي ينبغي أن نغرق بها الأرض ...

ولا بد أيضا أن نفتح أبواب وطننا للوفود وللسياح ليأتوا الى الأرض العربية ، فيروا بأم أعينهم ، أننا نحاول أن نبني حياتنا ، وأن نلحق بركب المدنية بعد أن تخلفنا عنه طويلا ... وأننا بسبب وجـود اسرائيل ، لا نستطيع ان نطمئن على ما نبنيه ، ولا نستطيع أن نتصرف الى حياة العمل والجد ، لان خطر وجودهذا السرطان الاستعماري يهدد وجودنـا ، ويضطرنا الى أن نحمل السـلاح بيد ، وندير المصنع باليد الأخرى ... فضلا عن أن نفقات كثيرة تذهب من أموالنا في شراء الأسلحة التي نريد ان نتقي بها عدوان اسرائيل الذي تكرر علينا ثلاث مرات في تسعة عشر عاما.

ولا بد لنا ـ قبل كل شيء ـ أن نغلق أفواهنا ، فلا نلقي الكلام على عواهنه ، ونقدمه بضاعة تتاجر بها اسرائيل على حساب سمعتنا وحقنا .

ان التهديدات الفارغة قد مضى زمانها .

واساليب التهريج والفوغائية يجب ان تذهب الى غير رجعة ، وغير مأسوف عليها .

وفي مواجهة العدو وخططه واساليبه ، يجب ان تكون لنا لغة واحدة ، تتحدث بها بغداد كما تتحدث القاهرة والجزائر ودمشق وصنعاء والرياض والرباط وتونس وبيروت والخرطوم والكويت وكل حاضرة في الوطن الكبير .

والمنطق والحقائق والعلم هي أدواتنا في المعركة التي يستخدم عدونا فيها الكذب والغش والخداع والتضليل وشراء الضمائر والمتاجرة بالمنكرات .

وقد يقال : كيف اذن سننتصر ••• اذا ما شهر العدو الغادر علينا كل هذه الاسلحة غير الشريفة ؟

والجواب قطعا هو : ان الحق في معركته مع الشر ، لا يمكن ان يتنازل عن اسلوبه الخير ••• ونحن نخوض معركة سلاحنا فيها الحق ، وهدفنا من خوضها الخير ••• ولا بد أن نخضد شوكة الاشرار ، ولا بد أن نحشد الى جانبنا أحرار العالم ، طال الزمن أم قصر •

ان معركة الاعلام لا تكسب بالصوت العالي ولا بالضجيج وفرع الطبول • ورب همسة كانت أفعل في النفس من طلقة المدفع • فليكن تخطيطنا للمعركة قائما على أحدث الأسس ، لا باعتبار اجهزة الاعلام مجرد أدوات دعائية تصرخ بمايكروفوناتها أو تسطر على صفحاتها صباح مساء ادعاءات واقوالا جوفاء يعود مردودها ضررا على مصلحتنا القومية أكثر مما يكون نفعا •

وعند التخطيط لمعركة الاعلام لا بد أن نضع في حسابنا ، أن نتجنب اخطاء الماضي ، فلا ننفتح باسرارنا ونضعها على قارعة الطريق ليستفيد منها العدو ويستغلها الى ابعد الحدود ، ولا ننغلق بحيث يفسح سكوتنا المجال للعدو ليكون وحده المتكلم ، وليكون كلامه وحده الذي يفعل في النفوس •

وهنا تبرز الدعوة الى ضرورة تحقيق وحدة الاعلام العربي ، ليكون العمل منسقا ، وليسير وفق خطوط واضحة لا شذوذ فيها ولا حيدة عنها •

وطبيعي أن خطواتنا في معركة الاعلام لا يمكن أن تكون بمعزل عن سياستنا الخارجية والدبلوماسية وتعاملنا الاقتصادي والتجاري ، بل هي لابد أن تسير مع هذه السياسة والتعامل جنبا الى جنب ، لتؤتي الخطوات الاعلامية ثمارها العملية الناضجة •

ان مفهومنا للسياسة الاعلامية ينبغي أن يتطور ، فلا يظل كما كان في الماضي مجرد تطبيل وتزمير أو محاولة للترويج لخطوات أو تصرفات معينة • فالسياسة الاعلامية هي ـ في جانبها الايجابي ـ تعبير عن الحقائق وابراز للصور التي نريد ان تنطبع عنا في اذهان الآخرين ، أما في جانبها

السلبي فانها مواجهـة لأباطيل العدو وافتراءاته وأكاذيبـه ، بالحقائـق ، وبالاسانيد وبكل ما يكشف زيف ما يصدر عنه .

وينبغي أن نضع في حسابنا أن معركة الاعلام طويلة المدى ومترامية الابعاد ، وهي مريرة في اغلب مراحلها ، ولقد استطاع عدونا أن يكسب فيها كثيرا من المواقع التي تتطلب جهدا ضخما وتضحيات جمة لاستردادها .. فلا بد اذن ان نتذرع بالصبر ، ولابد أن نصمد ولا نترك اليأس يتسرب الى نفوسنا ابدا .

وحقل الاعلام ، كالحقل الزراعي في حاجة دائمة الى الرعاية ... والا تحول الى ارض بلقع لا شجر فيها ولا نبات .

ولا يجوز ان نترك شعبا ، صديقـا كان أم مضللا ، دون ان نتابـع الاهتمام به ونضع ما نريـد أن يطلع عليه تحت تصرفه ... لنقطع بذلك الطريق على عدونا الذي يتربص بنا الدوائر ويستكشف دائما جبهاتنا ، فيحاول النفوذ من أية ثغرة يجدها .

ان اليقظة والحذر وسرعة المبادرة والحسم كما هي من الأسباب التي تحقق النصر في المعارك الحربية ، والتي ينبغي ان تحرص عليها الجيوش ولا تتهاون في أمرها ... فكذلك هي بالنسبة لأجهزة الاعلام التي لا بد أن تكون مفتحة العيون اربعا وعشرين ساعة في اليوم ، مستعدة للعمل طوال الأربع والعشرين ساعة ...

ولا جدال في أن درس النكسة لا يجوز أن يذهب عبثـا ... حين نخطط للمستقبل ، وكما أننا مدعوون الى أن نعيد النظر في كل اوضاعنا وأحوالنا وأساليبنا السياسية والاقتصادية والعسكرية ... فان من أول ما ينبغي أن نعنى به بالغ العناية ونهتم به أشد الاهتمام ، هو التخطيط الاعلامي، بعد أن برهنت الاحداث على أن المعركة الاعلامية تسير جنبا الى جنب مع المعركة العسكرية ، وقد تسبقها في كثير من الاحيان استحواذا على المواقع ، وتحضيرا للاذهان .

وأخيرا ..

نحن نحارب .. فنحن اذن نكون !

بهذه العبارة أريد أن استشهد ... وهي مفتاح الفلسفة التي قامت عليهما منظمة ارغون زفاي ليؤمي الارهابية التي دبرت مذبحة دير ياسين وقادها مناحيم بيغن زعيم حزب حيروت الاسرائيلي ، ووزير الدولة في وزارة الحرب التي ألفها ليفي أشكول قبل بدء العدوان الثلاثي الجديد بأربعة أيام !

ومناحيم بيغن محام بولندي الاصل ، دخل فلسطين بشكل غير شرعي عام ١٩٤٢ من شرقي الاردن حيث كان جنديا في جيش الحلفاء . وقد انفصل عن وحدته في شرقي الاردن بموافقة الضابط المسؤول عنه ، وكان قبل ذلك قد اعتقل في روسيا ونفي الى سيبريا ، وحين اطلق سراحه اتجه الى فلسطين وفيها التحق بالارغون حتى اصبح قائدا لها[1] .

ويفلسف بيغن الحرب فيقول :

« عندما قال ديكارت : أنا أفكر ، فانا اذن أكون »
قال فكرة عميقة جدا . غير أن هنالك أحيانا في تاريخ الشعوب لا يكفي التفكير وحده لاثبات وجودها . فقد « يفكر » شعب ، ثم يتحول ابناؤه بافكارهم وبالرغم منها الى قطيع من العبيد .. هنالك أحيان يصرخ فيها كل ما فيك قائلا : أن عزتك ككائن حي رهن بمقاومتك للشر »
« نحن نحارب ، فنحن اذن نكون ! »

(١) كتاب الجذور الارهابية لحزب حيروت الاسرائيلي ـ تاليف بسام ابو غزالة (ص ٣٣-٣٤) .

ما دام العدو يفكر هكذا ... وما دام شعاره هو الحرب ، وما دام قد أقام وجوده على أسس الحرب ... فماذا ننتظر ؟!

أننتظر اليوم الذي نصبح فيه كما يقول هو « قطيعا من العبيد » ؟!

وحتى حياة العبيد ... لن تسمح لنا بها ـ اذا ارتضيناها ـ هذه القوى الشريرة التى جاءت تريد أرضنا ، وما عليها ، وما فيها .

وفلسفة الحرب هي التي يجب أن تسود ، وأن تحكم كل وجودنا وكل أساليب حياتنا .

والحرب ليست كلاما ... وليست حمل مدفع أو رشاش أو اطلاق رصاصة !

انها تغيير شامل في كل الاساليب التى ألفناها وعشنا عليها وبها .

وليس عارا فقط ان نتأخر في الاستعداد للحرب ، ولكنه تفريط بمستقبلنا ، وتضييع لفرصتنا وفرص اجيالنا ، لا نملك معه تبريرا ... نحن نحارب ... فنحن اذن نكون .

هذا الشعار ينبغي ان يتحول بصمت وبلا ضجيج الى حقيقة واقعة تلف شعبنا العربي كالعاصفة العاتية من الخليج حتى المحيط .

والا فأين سنولي وجوهنا من لعنة التاريخ ؟!

لقد ظل اليهود في تيه ـ قبل أن تبرز الصهيونية الحديثة ـ استمر الفي عام !

ومنذ انعقد المؤتمر الصهيوني الاول في شهر آب ١٨٩٧ حتى تم لليهود تحقيق حلمهم باقامة اسرائيل فى ١٤ أيار ١٩٤٨ ، كانت هناك خمسون سنة من الكفاح والصبر والتضحيات والبذل ...

أما نحن فما الذي بذلناه ـ مختارين ـ حتى الآن ؟!

لقد فرض عدونا علينا البذل ... فكنا شحيحين ، حتى في مواقف الدفاع !

وكانت تضحياتنا حتى اللحظة ، من قبيل التضحيات المفروضة علينا ... لاننا لم نردها ، ولم نقدم عليها !

اننا بالاستعداد للحرب ... نحقق في منطقتنا ووطننا ، ولاجيالنا السلام .

والاستعداد للحرب ... ليس شعارات نرفعها ، أو كلاما نردده .

لقد كان في اسرائيل ـ وتعدادها نحو مليوني نسمة ورقعة الارض التي تحتلها أصغر من أي قطر عربي ـ أحد عشر حزبا سياسيا ... وهي تشن علينا الحرب !

وعندما دق ناقوس الخطر .. لم تجد واحدا من المليونين يتخلف عن اداء الواجب ... لانهم جميعا كانوا يستعدون للحرب ... لم تمنعهم خلافاتهم السياسية ، ولا العقائدية ، ولا الحزبية عن ان يتحولوا مقاتلين يخوضون الحرب كتفا الى كتف ضد العرب ، ولاغتصاب ارض العرب .

ان الامة العربية مدعوة لتبني فلسفة الحرب ، اذا ما أرادت ان تحفظ وجودها ، وتضمن مستقبلها وتحمي مصيرها .

ولا يجوز ان تعيقنا النكسة عن الاستعداد للجولة التالية .

فخسارة معركة لا تعني ابدا خسارة الحرب .

ويجب أن نكون ذوي نفس طويل وان تتبع في الحرب سياسة النفس الطويل .

فنحن نتحكم في اخطر بقعة من العالم ، وبوسعنا أن نخوض حربا طويلة المدى لا يملك شعب غيرنا أن يخوضها . وسنربح هذه الحرب ، حتما لان الزمن معنا ، ولا يمكن ان يكون ضدنا .

لقد خسرناها معركة ... وحين نقلب صفحات التاريخ ، قريبا كان أم بعيدا ، نجد الامم جميعا قد خسرت معارك كثيرة ... ولكنها لم تيأس واستطاعت ـ رغم الخسارة الموقتة ـ أن تكسب في النهاية النصر .

والعرب لا ينبغي أن يستسلموا لليأس لمجرد أنهم خسروا جولة .

فالحرب التي يخوضونها ، حرب مصير ، وستستمر ، وقد نخسر فيها معارك جديدة ، ولكننا لا يجوز أن نلقي سلاحنا او نسلم بالامر الواقع الذى يريدون .

سنقاتل ... وسنتبنى فلسفة الحرب ، حتى نربح الحرب .

لقد خسرناها معركة ... فلنربحها حربا .

ولن نحقق النصر في الحرب ، الا بتبني فلسفة الحرب ، بكل متطلباتها ، وكل ما تقتضيه منا من جهود وتضحيات .

ان الاستعمار وعملاءه يريدون ان يلقوا في روعنا ألا جدوى من الاستمرار في مجابهة اسرائيل ... وهم يحاولون ان يفرضوا وجودها علينا ، ويحملونا على التسليم بشعارهم القائل ان اسرائيل وجدت لتبقى !

الا انه ليس في العرب ، ولم يولد بعد ولن يولد من يتخيل امكانية التعايش مع اسرائيل ..

واذا أراد الاستعماريون لاسرائيل ان تبقى ، فليختاروا لها من ديارهم مكانا تنتقل اليه ...

أما العرب فلا يمكن بحال من الاحوال ان يرتضوا العيش في منطقة واحدة مع اسرائيل ... فاما نحن واما اليهود ، ولن يتسع الوطن العربي لنا ولهم معا .

وما داموا لا يريدون الاعتراف بهذه الحقيقة ، فسيواصلون حربهم لنا.

وليس أمامنا من خيار ... غير أن نحارب .

سنحارب من أجل وجودنا ...

سنحارب من أجل اطفالنا ، ومستقبلنا وعروبتنا وأدياننا .

سنحارب ، لاننا بغير الحرب ، لا نستطيع ان نحقق السلام .

سنحارب لان عدونا ماكر غدار ، ولانه ازرق الناب ، ولان وراءه قوى مادية كثيرة ومتنوعة .

وعندما يسقط منا شهيد ، فسيسقط في ساحة معركةالشرف ، ومن أجل قضية عادلة لا يكفي انها قضية عربية ، بل هي قضية انسانية ايضا ،لانها قضية شعب يواجه ـ في النصف الثاني من القرن العشرين ـ غزوا يستهدف اجلاءه عن أرضه لاحلال شعب آخر محله ... الامر الذي لم يشهد التاريخ في أحلك صفحاته ظلاما ، مثيلا له أو شبيها !

انها حرب المصير ... ولذلك لابد ان تكون لنا فيها فلسفة ... ولا بأس ان نتعلم من عدونا هذه الفلسفة :

نحن نحارب ، فنحن اذن نكون !

وسنحارب لنبرهن على أننا فعلا احفاد أولئك العرب الذين ذادوا عن وطنهم الغزوات ، وحولوا من أرضهم مقابر للفاتحين .

ولن نيأس لاننا خسرنا المعركة ، ما دام قانون البقاء يقول من قديم الزمان ان الحرب سجال ، وهي كر وفر ، والمهم ليس أن نربح معركة ، بل المهم أن نربح الحرب .

ولا يجوز أبدا أن ننصرف في هذه المرحلة الى لوم بعضنا ، أو الانشغال باسباب النكسة ، الا في حدود ما يهيىء لنا تفادي الوقوع فيها مرة أخرى ..

ولننظر الى الامام دون ان نلتفت الى الوراء ولنعمل يدا واحدة وقلبا واحدا ، ونسير ، وتسير كل جماهيرنا مسيرة الحرب الطويلة ، وسنبلغ النصر .

وما النصر الا من عند الله .

ولينصرن الله من ينصره والله على كل شيء قدير .

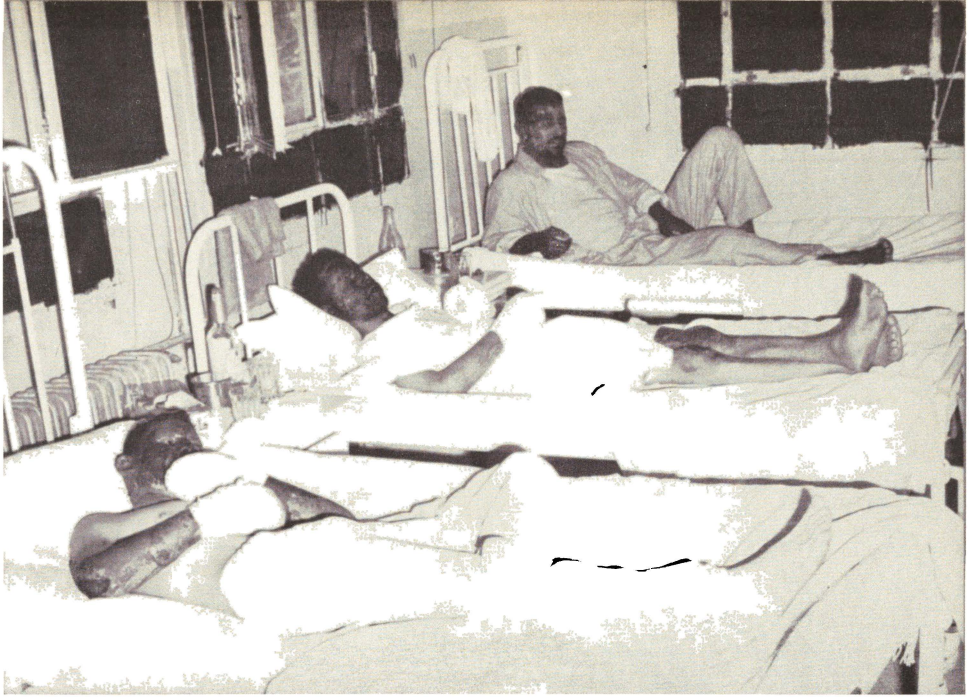

من ضحايا قنابل النابالم المحرمة دولياً في مستشفيات عمان

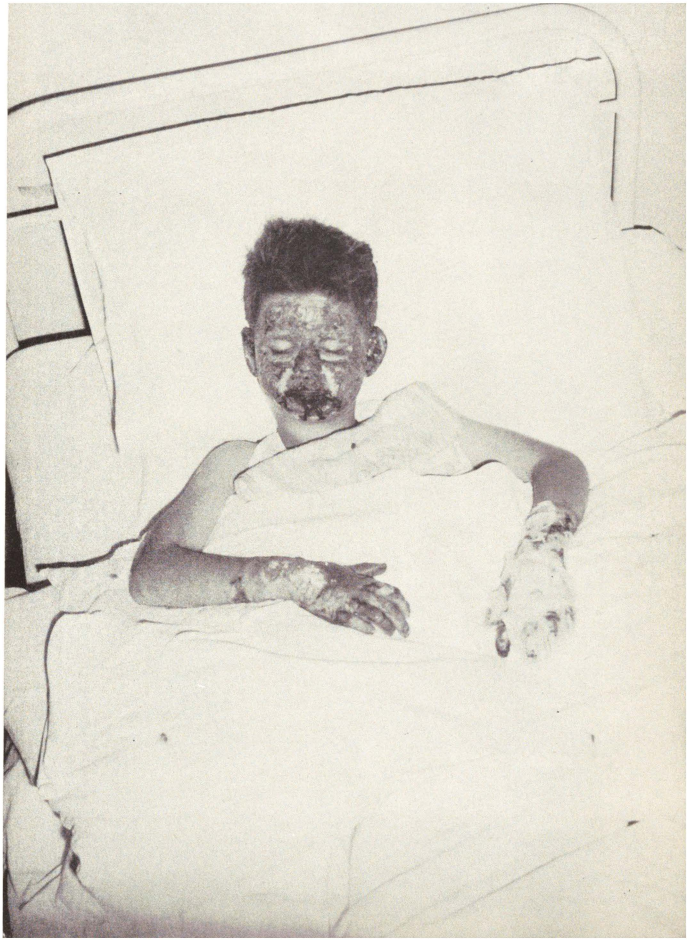

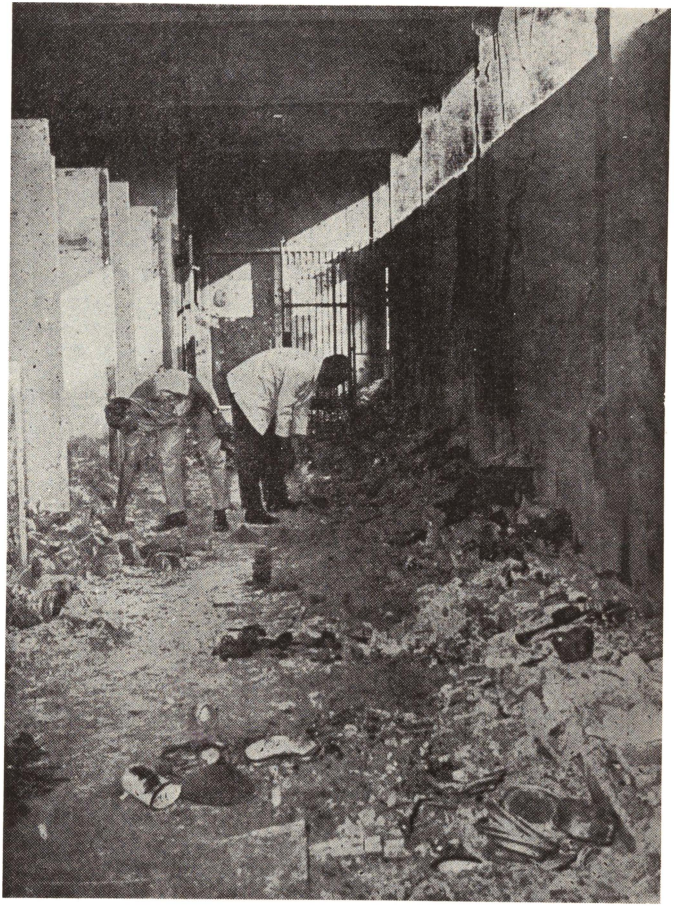

لم يبق الا الرماد ... لقد احرقت قنابل النابالم كل شيء
حتى الحديد صهرته والجدران حطمتها واصبحت هشيما .

وزارة الثقافة والارشاد
مديرية الثقافة العامة

صدرت عن مديرية الثقافة العامة في وزارة الثقافة والارشاد المطبوعات التالية :

	الثمن فلس	دينار
اولا ـ سلسلة كتب التراث		
١ ـ الدر النقي في علم الموسيقي : للقادري الرفاعي الموصلي وتحقيق الشيخ جلال الحنفي	٥٠	ـ
٢ ـ ديوان عدي بن زيد العبادي : تحقيق وجمع السيد محمد عبدالجبار المعيبد	٣٠٠	ـ
٣ ـ مهذب الروضة الفيحاء في تواريخ النساء لياسين بن خيرالله العمري ـ تحقيق السيد رجاء السامرائي	٣٠٠	ـ
٤ ـ اصحاب بدر : منظومة الشيخ حسين الغلامي تحقيق وشرح الاستاذ محمد رؤوف الغلامي	٣٥٠	ـ
ثانيا ـ سلسلة الكتب المترجمة		
١ ـ الاصطلاحات الموسيقية : تأليف أ٠ كاظم نقله الى العربية عن التركية : ابراهيم الداقوقي ملحق ـ١ـ المستدرك على الاصطلاحات الموسيقية : للمؤلف نفسه وتعريب ابراهيم الداقوقي	١٠٠	ـ
٢ ـ رحلة نيبور الى العراق في القرن الثامن عشر نقله الى العربية عن الالمانية الدكتور محمود حسين الامين قدم له وعلق عليه السيد سالم الآلوسي	٢٠٠	ـ

	الثمن فلس	دينار

ثالثا ـ سلسلة الكتب الحديثة

١ ـ رائد الموسيقى العربية : تأليف عبدالحميد العلوجي	٢٠٠	ـ
٢ ـ معجم الموسيقى العربية : تأليف الدكتور حسين علي محفوظ	٢٠٠	ـ
٣ ـ جولة في علوم الموسيقى العربية: تأليف الاستاذ ميخائيل خليل الله وبردي	٥٠	ـ
٤ ـ الحرية : تأليف الاستاذ ابراهيم الخال	١٠٠	ـ
٥ ـ موجز دليل آثار سامراء : اعداد سالم الآلوسي	٥٠	ـ
٦ ـ موجز دليل آثار الكوفة : اعداد سالم الآلوسي	٥٠	ـ
٧ ـ النظام القانوني للمؤسسات العامة والتأميم في القانون العراقي : تأليف الاستاذ حامد مصطفى	٣٥٠	ـ
٨ ـ علي محمود طه ٠٠٠ الشاعر والانسان : تأليف المرحوم الاستاذ أنور المعداوي	٢٠٠	ـ
٩ ـ مؤلفات ابن الجوزي : تأليف عبدالحميد العلوجي	٢٥٠	ـ
١٠ـ أبو تمام الطائي : تأليف الاستاذ خضر الطائي	١٥٠	ـ
١١ ـ من شعرائنا المنسيين : تأليف الاستاذ عبدالله الجبوري	٢٠٠	ـ
١٢ـ محمد كرد علي : تأليف الاستاذ جمال الدين الآلوسي	٣٠٠	ـ
١٣ـ أدباء المؤتمر : للاستاذ عبدالرزاق الهلالي	٢٠٠	ـ
١٤ـ بدر شاكر السياب : للاستاذ عبدالجبار داود البصري	١٥٠	ـ
١٥ـ الواقعية في الادب : تأليف الاستاذ عباس خضر	٢٠٠	ـ
١٦ـ شعراء الواحدة : للاستاذ نعمان ماهر الكنعاني	١٥٠	ـ
١٧ـ لقاء عند بوابة مندلبوم : للاستاذ احمد فوزي	٢٠٠	ـ
١٨ـ خسرناها معركة ٠٠ فلنربحها حربا : للاستاذ فيصل حسون	٢٠٠	ـ

رابعا ـ سلسلة الثقافة العامة

١ ـ المواسم الادبية عند العرب : تأليف عبدالحميد العلوجي	١٠٠	ـ
٢ ـ الادباء العراقيون المعاصرون وانتاجهم : تأليف السيد سعدون الربيس	٥٠	ـ
٣ ـ تطور الحركة الوطنية التونسية منذ الحماية حتى الاستقلال : تأليف الدكتور لؤي بحري (نفدت نسخه)	٥٠	ـ
٤ ـ العلم للجميع : اعداد كامل الدباغ	٥٠	ـ

	الثمن فلس	دينار
خامسا ـ سلسلة ديوان الشعر العربي الحديث		
١ ـ اللهب المقفى ـ شعر حافظ جميل	٣٥٠	ـ
٢ ـ غفران ـ شعر محمد جميل شلش	٢٥٠	ـ
سادسا ـ سلسلة القصة والمسرحية		
١ ـ الظامئون : للاستاذ عبدالرزاق المطلبي	٢٥٠	ـ
٢ ـ عمان لن تموت : للاستاذ عبدالوهاب النعيمي	١٠٠	ـ
٣ ـ من مناهل الحياة : للاستاذ الياس قنصل	١٠٠	ـ
٤ ـ رماد الليل : للاستاذ عامر رشيد السامرائي	١٥٠	ـ

الفهرس

	صفحة
الاهـــداء	٣
تمهـــيد	٥
لماذا وقع العدوان ؟	٧
لماذا أصبنا بالنكسة ؟	١٨
العرب والعدوان	٢٤
هل كنا مستعدين ؟	٣١
كيف نعالج آثار النكسة ؟	٣٨
دور الشعب في الحرب	٤٦
أسلحتنا في الحرب	٥٤
ســلاح الوحدة	٦٠
في معركة الاعـلام	٦٦
وأخيراً .. نحن نحارب .. فنحن اذن نكون ! ..	٧٦

خصص ريعه الى المجهود الحربي

دار الجمهورية ـ بغداد
١٣٨٧هـ/١٩٦٧م

ثمن النسخة (٢٠٠) فلس